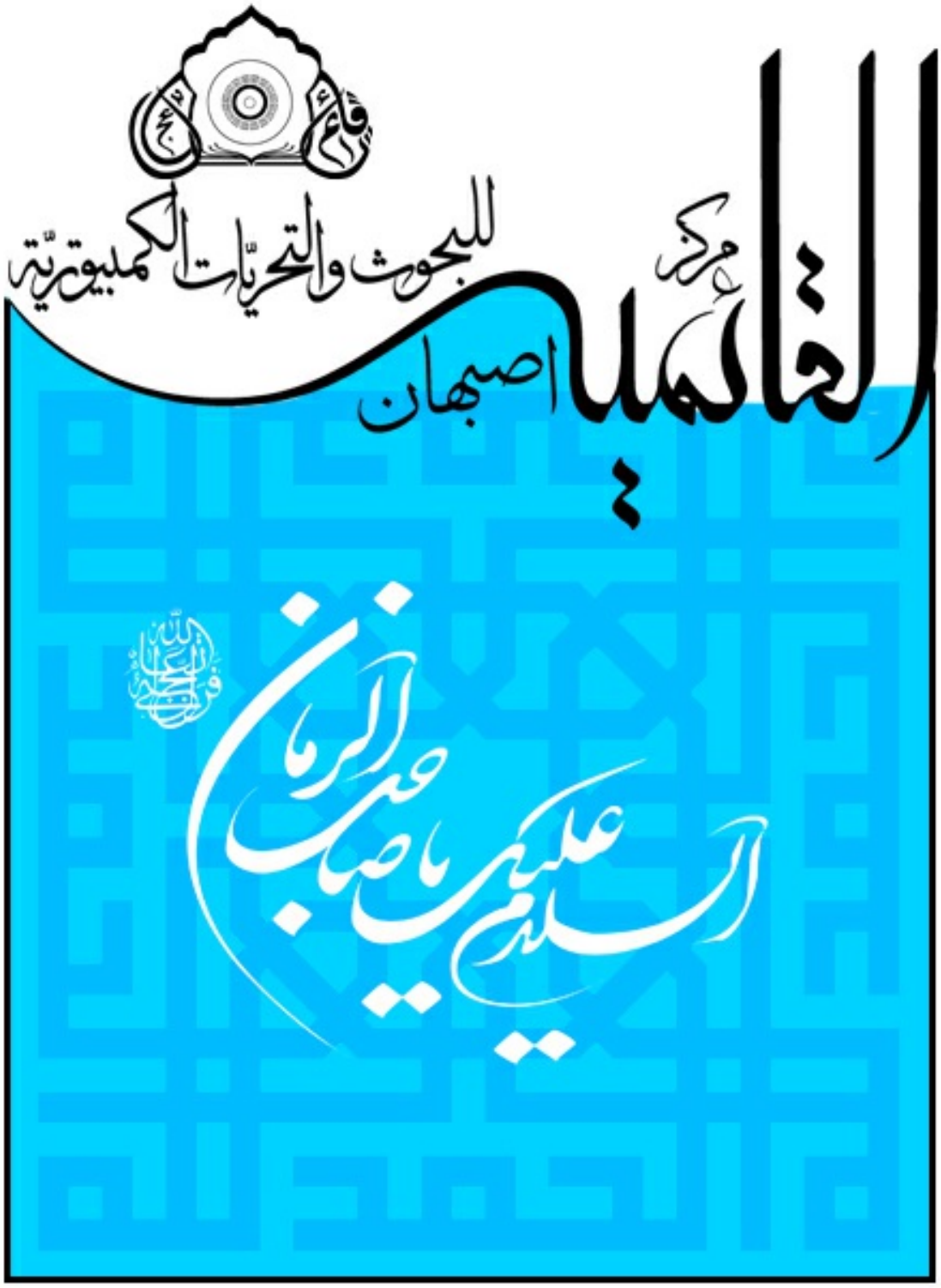

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الزهراء

سيدة نساء العالمين

تعريب: عبدالرحيم عمراني

بسم الله الرحمن الرحیم

الزهرا سلام الله عليها سيده نساء العالمين

كاتب:

آيت الله العظمي ناصر مكارم شيرازي

نشرت في الطباعة:

مدرسه الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

الزهرا عليهاالسلام سيده نساء العالمين 8

اشارة 8

اشارة 8

المقدمة 12

فاطمة عليها السلام منذ الولادة حتي رحيل النبي صلي الله عليه و آله 17

اشارة 17

الولادة الميمونة لفاطمة عليها السلام 19

سر حب النبي صلي الله عليه و آله لفاطمة عليها السلام 23

فاطمة أم ابيها 26

فاطمة عليها السلام زوجة أمير المومنين علي عليه السلام 30

فاطمة عليها السلام بعد رحيل أبيها صلي الله عليه و آله 38

فضائل الزهراء عليها السلام 41

اشارة 41

منزلة فاطمة عليها السلام 43

سيدة نساء العالمين 50

حوراء انسية 54

فاطمة عليه السلام أحب الناس الي الرسول الكريم صلي الله عليه و آله 57

قرب فاطمة عليها السلام من اللّه 62

زهد فاطمة عليها السلام 65

المكانة العلميّة لفاطمة عليها السلام 69

كرامات فاطمة عليها السلام 72

أول من يرد الجنة 74

معاني أسماء فاطمة عليها السلام 76

هدية الرسول صلي الله عليه و آله لفاطمة عليها السلام 79

اشارة 79

أحداث فدك المؤلمة 83

اشارة 83

1 -العوامل السياسية في غصب فدك 86

2 - فدك عبر العصور 89

3 - فدك و أئمة الهدي عليهم السلام 93

4- محكمة تأريخية 96

5 - حدود فدك! 102

استنتاج 104

الملحمة الكبيرة 107

اشارة 107

الخطبة التأريخية لسيدة الإسلام فاطمة الزهراء عليها السلام 109

أسانيد و وثائق الخطبة 113

المحاور السبعة لخطبة فاطمة الزهراء عليها السلام 116

توحيد اللّه و صفاته و هدف التكوين 118

منزلة الرسول الكريم صلي الله عليه و آله السامية، خصائصهُ و أهدافه 122

كتاب اللّه و فلسفة الأحكام 126

إعلان موقفها من النظام الحاكم 130

الردة بعد النبي صلي الله عليه و آله 135

المحور السادس قصة غصب فدك و حجج الغاصبين وتفنيدها 138

طلب نصرة الأنصار 144

الخطبة الثانية لسيدة الإسلام فاطمة الزهراء عليها السلام 153

اشارة 153

الخطبة المؤلمة في نساء المدينة 155
مناقشة أسناد خطبة سيدة النساء عليها السلام 159
القسم الأول 161
القسم الثاني 164
اشارة 164
المعايير و القيم الإلهية 165
القسم الثالث 168
اشارة 168
ترجيح «المرجوح» علي «الراجح» 168
القسم الرابع 171
اشارة 171
الاختيار الخاطيء و ثمرته المشؤومة 171
القسم الخامس 176
اشارة 176
الأجوبة المريرة و المؤلمة 176
ملاحظة مهمة 178
تعريف مركز 180

الزهرا عليهاالسلام سيده نساء العالمين

اشارة

سرشناسه : مكارم شيرازي ناصر، - 1305

عنوان و نام پديدآور : الزهرا عليهاالسلام سيده نساء العالمين/ ناصر مكارم شيرازي -تعريب عبدالرحيم محمداني

مشخصات نشر : قم مدرسه الامام علي ابن ابي طالب 1382.

مشخصات ظاهري : ص 176

وضعيت فهرست نويسي : فهرستنويسي قبلي

يادداشت : عربي يادداشت : عنوان اصلي زهرا سلام الله عليها برترين بانوي جهان

يادداشت : عنوان روي جلد:Makarem shirazi. Al - Zahra The most superior lady of the world .

يادداشت : كتابنامه به صورت زيرنويس

عنوان روي جلد : Makarem shirazi. Al - Zahra The most superior lady of the world .

موضوع : فاطمه زهراس ، 8؟ قبل از هجرت -- ق 11

شناسه افزوده : حمراني عبدالرحيم مترجم

شناسه افزوده : مدرسه الامام علي بن ابي طالب ع

رده بندي كنگره : BP27/2 /م 7ز9043 1382

رده بندي ديويي : 297/973

شماره كتابشناسي ملي : م 82-17508

ص: 1

اشارة

الزهرا عليهاالسلام سيده نساء العالمين

ناصر مكارم شيرازي

تعريب عبدالرحيم محمداني

مدرسه الامام علي ابن ابي طالب 1382.

ص: 2

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 3

المقدمة

قال رسول الله صلي الله عليه و آله : «كانت مريم سيدة نساء زمانها، أمّا ابنتي فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الاولين الاخرين».

* * *

شهدت المرأة معاناة قاسية جمة علي مدي التأريخ، وكانت رقيقة في جسدها مقارنة بالرجل، فقد أثر هذا الامر سلباً علي الظلمة والطواغيت الـذين سـعوا جاهـدين علي مر العصور لهضم حقها وتجريدها من إنسانيتها، وما ابشع من جرائم إرتكبوها بهذا الشأن، ولا سـيما في شـبه الجزيرة العربيـة وإبان العصـر الجاهلي – رغم أن الـدنيا برمتها كانت آنذاك تسـبح في بحر من الجاهلية – حيث كانوا أشد وطأة علي المرأة وأعظم لثلمها شخصيتها. حتي بلغ بهم الأمر أن جعلوها سلعة تباع و تشتري؛ لم يورثوها الرجال (فهي لا تحمل السلاح وتحمي البيضة)، كما كانوا يعـدون ولادة البنت عاراً، ولـذلك – كما يشـير القرآن – كانوا يعمـدون لوأدها – بل الادهي من ذلك أنهم ولوا ظهورهم حتي لا بسط القوانين الطبيعية: فصار شاعرهم يقول:

بنونا بنو أبنائنا و بناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

وهذا ما يمثل الجو الفكري الذي كان سائدا لديهم آنذاك. وهنا كان للاسـلام الذي حمل راية القيم الالهية والانسانية موقفه الحازم ازاء هذا التفكير الجاهلي المقيت لتثور ثائرته من أجل إسـتعادة المرأة لشخصـيتها المفقودة؛ فاعتمـد أسـلوب الوعظ والتوصـيه والارشاد إلي جانب تشريع القوانين التي تكفل للمرأة حقوقها فسح المجال أمامها لتمارس دورها في كافة الميادين، وبالتالي الوقوف بحزم بوجه كل من تسول له نفسه التمرد علي هذه الحقائق.

فقـد ورد في الاخبار: أن أسـماء بنت عميس زوج جعفر بن أبي طالب عادت معه من الحبشة وانطلقت لزيارة أزواج النبي صـلي الله عليه و آله فكان مما سألت:

هل جاء شـيیء من القرآن بحق النساء؟ فأجبن بعـدم العلم بهـذا الأمر! فقصدت رسول اللّه صـلي الله عليه و آله وقالت: يا رسول اللّه، هل خلقت النساء للعذاب؟

(لعلها كانت مصـيبة في طرحها مثل هـذا السؤال علي النبي صـلي الله عليه و آله فهي حديثة العهد بالوحي والرسالة، وربما كانت تظن بان المباديء التي كانت تحكم المجتمع الجاهلي مازالت عالقة لحد الان).

فاجابها رسول اللّه صلي الله عليه و آله : ومم ذاك؟

قالت: لأن القرآن لم يقر لها بالفضل الذي أقره للرجال!

كانت تلك الواقعـة في العام الهجري الخامس وقـد مرت ثمانيـة عشـر عاماً علي انبثاق الـدعوة الاسـلامية، كما إسـتفاضت الايات القرآنية وتواترت الاحاديث النبويـة التي تناولت قضـية إحياء شخصـية المرأة، مع ذلك و بهـدف التأكيد فقد صـرحت الاية الخامسة والثلاثون من سورة الاحزاب بهـذا الفضل للنساء وحقيقـة تأصل قيمها الانسانيـة التي تجعلها تشترك وأخيها الرجل في وحـدة هذه الحقيقة وأنها تتمتع. بمكانتها

الاجتماعية المرموقة. وهي القيم التي حصرتها الاية الشريفة في عشرة فصول، فقالت:

إن المسلمين والمسلمات.

والمؤمنين والمؤمنات

والقانتين والقانتات

والصادقين والصادقات

والصابرين والصابرات

والخاشعين والخاشعات

والمتصدقين والمتصدقات

والصائمين و الصائمات

والحافظين فروجهم والحافظات

والذاكرين الله كثيرا والذاكرات

أعد اللّه لهم مغفرة و أجرا عظيما

وهكذا يكون الاسلام قد وضع النقاط علي الحروف، وكشف النقاب عن تكافيء المرأة والرجل في سيرهما إلي اللّه وبلوغ السمو والكمال الانساني المشهود.

جدير بالذكر ان البعض قد أعرب عن دهشته من كيفية منح الاسلام المرأة حق المطالبة باجور الرضاعة التي تقدمها لولدها! فقد قال عز من قائل: ي فان أرضعن لكم فاتوهن أجورهن ي (1). فهل هناك من امرأة يسعها المطالبة بالاجر من أجل ارضاع فلذة كبدها ولاسيما إذا كانت تعيش مع زوجها حياة زوجية مشتركة؟6.

1- - سورة الطلاق، آية 6.

لكن لا ينبغي أن ننسي هنا بان هذه التعاليم انما تستند إلي منطق الاسلام الذي لا يري ان المرأة هي إنسان ذات حقوق إنسانية، لها الحق في التصرف في أموالها وليس للرجل الحق في هضمها حقها دون رضاها وطيب خاطرها فحسب، بل أبعد من ذلك فهي تملك حتي حق المطالبة بالرضاعة. ولك – عزيزي القارئ – أن تقف علي مدي تأثير هذا الأمر علي تلك البيئة!

وزبدة الكلام أن المرأة مدينة بالفضل للاسلام الذي أعاد لها عزتها و كرامتها وحررها من مخالب عتاة التأريخ ومردته، شريطة أن تطبق تعاليم هذا الدين الحنيف بحذافيرها.

ص: 8

فاطمة عليها السلام منذ الولادة حتي رحيل النبي صلي الله عليه و آله

اشارة

ص: 9

الولادة الميمونة لفاطمة عليها السلام

«فاطمة بضعة مني وهي نور عيني وثمرة فؤادي وروحي التي بين جنبيّ وهي الحوراء الانسية» (1)

كان رسول اللّه صلي الله عليه و آله يعيش أصعب الظروف وأعقدها في العام الخامس من بعثته النبوية الشريفة، فالاسلام في عزلة خانقة والمسلمون الاوائل قلائل وتصاعد حدة الضغوط، ناهيك عن أجواء الظلام التي كانت القت بظلالها علي مكة اثر الشرك والوثنية والجهل والحروب القبلية العربية وسيادة منطق القوة واستشراء الفقر والحرمان في صفوف الناس.

كان رسول اللّه صلي الله عليه و آله يتطلع إلي الغد؛ الغد المشرق الكامن وراء هذه السحب السوداء الداكنة، الغد الذي يبدو صعب المنال و ربما المحال بالالتفات إلي الاسباب والعلل الظاهرية الاعتيادية.

وهنا وقعت حادثة المعراج الكبري التي أذن اللّه فيها لرسوله الاكرم صلي الله عليه و آله بالعروج لمشاهدة ملكوت السماء ي لنريه من آياتناي (2) فيري عظم آيات ربّه بعينه لتتسامي روحه العظيمة، ويتأهب لتلقي ثقل

1- - رياحين الشريعة، ج2 ص 21.

2- - رياحين الشريعة، ج2 ص21.

الرسالـة المصـحوبة بسـعة الأمل. فقد روي الفريقان – السـنة والشـيعة – أن رسول اللّه صـلي الله عليه و آله وطأ الجنة ليلة المعراج، فناوله جبرئيل عليه السـلام فاكهة من شـجرة طوبي، فلما عاد إلي الارض انعقدت نطفة فاطمة من تلك الفاكهة. ولذلك جاء في الحديث أن رسول اللّه صلي الله عليه و آله قال: «ان فاطمة حوراء أنسية، فكلما إشتقت إلي الجنة جعلت أقبلها» (1)

وبـذلك فـإن هـذه المولودة المباركـة التي تمثل عصارة ثمار الجنـة ولحم و دم رسول اللّه صـلي الله عليه و آله وتلك الام الحنون السـيدة خديجة الكبري عليها السـلام تكون قد وضعت حدا لطعنهم و غمزهم في النبي صلي الله عليه و آله كونه أبتر لا عقب له. وعلي ضوء سورة «الكوثر» المباركـة فان فاطمة عليه السـلام هي العين الصافية التي تدفقت منها ذرية النبي صـلي الله عليه و آله والائمة الهداة الميامين عبر القرون حتي يوم القيامة.

للحوراء الانسية تسعة أسماء يرمز كل منها لصفات و مناقب هذه السيدة الطاهرة المباركة، وهي:

1 – فاطمة

2 – الصديقة

3 – الطاهرة

4 – المباركة

5 – الزكية.

1– – نقـل هـذا الحـديث باختلاف طقيف السـيوطي في الـدر المنثور و الطبري في ذخائر العقبي و علي بن ابراهيم في تفسـيره. و ان كان المعروف هو ان المعراج وقع في السنوات الاخيرة من مكة، الا ان الذي يستفاد من الروايات هو حصول المعراج لاكثر من مرة و عليه فليس هناك من منافاة في ولادة سيدة النساء في السنة الخامسة من البعثة النبوية المباركة.

6 – الراضية

7 – المرضية

8 – المحدّثة

9 – الزهراء

وكفي باسـمها «فاطمـة» الذين يعني البشارة الكبري لمواليها ومحبيها، فلفظ «فاطمة» قد أخذ من مادة «فطم» بمعني الانفصال، ومنه فطام الولد بمعني فصله عن الرضاعة. فقد ورد في الحديث أن رسول اللّه صلي الله عليه و آله قال لأمير المؤمنين علي عليه السلام : أتعلم يا علي لم سميت ابنتي فاطمة؟

قال عليه السلام : لم يا رسول اللّه صلي الله عليه و آله ؟

فقال عليه السـلام : «ان اللّه عزوجل فطمها و محبيها من النار فلذلك سميت فاطمة» (1) ويتألق إسم الزهراء من بين أسمائها. و حين سئل الصادق عليه السلام :

لم سـميت فاطمة عليه السـلام بالزهراء؟ قال عليه السلام : لأن الزهراء كانت زاهرة كالنور، فإذا وقفت في محرابها للصلوة كانت تزهر لأهل السموات كما تزهر النجوم لأهل الارض، ولهذا سميت بالزهراء. كان زواج تلك السيدة – التي كانت تحظي بشخصية مرموقة في مجتمعها – من النبي الاكرم صـلي الله عليه و آله سـببا لمقاطعتها من قبل نساء مكـة، اللاتي قلنّ: إنها تزوجت من فتي فقير ويتيم فحطت من قدرها وشأنهـا. وقـد إسـتمرت هـذه المقاطعـة حتي حملت بالزهراء عليه السـلام . فلما قاربت وضع حملها بعثت خلف نساء قريش ليرافقنها في لحظات الطلق والمخاض العصيبة ولا يتركنها لوحدها.

فجوبهت برد باهت قاسي: «انك لم تسمعي مقالتنا فتزوجت من يتيم أبي».

1– – ورد هذا الحديث في أغلب كتب العامة من قبيل «تأريخ بغداد» و «الصواعق المحرقة»و «كنز العمال» و «ذخائر العقبي».

طالب، فليس لنا أن نساعدك!

اغتمت خديجة عليها السلام لهذا الرد الباطل؛ لكن قلبها كان يطفح بنور الأمل الذي يشعرها بأن ربّها لن يتركها وحيدة. وبدأت لحظات الوضع الصعبة؛ مع غربتها ووحدتها في البيت، ولم تكن هناك خادمتها التي يمكنها الوقوف إلي جوارها أملاً فتفتح عينها لتري أربعاً من النساء فينتابها القلق. فنادتها إحداهن قائلة: لا تبتسئي! فقد بعثنا ربك لنجدتك، نحن أخواتك، فأنا سارة وهذه آسية زوجة فرعون وهي رفيقتك في الجنة؛ وتلك مريم بنت عمران، أما هذه فهي كلثوم ابنة موسي بن عمران و قد جئنا لنلبي أمرك. فمكثن عندها حتي وضعت فاطمة سيدة النساء. (1) ولم يكن ذلك بدعا فقد قال الحق سبحانه: ي ان الذين قالوا ربنا اللّه ثم استقاموا تتنزل عليه الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنواي (2) إضافة إلي الملائكة فقد حضرتها أرواح نساء العالم لنجدتها ومعونتها. فسرُّ رسول اللّه صلي الله عليه و آله وحمد اللّه وأثني عليه، وخرست ألسن خصومه ممن نعتوه بالابتر، حيث بشّره سبحانه بهذه المولودة المباركة ي إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الابتري.0.

1- - سورة فصلت، آية 30.

2- - سورة فصلت، آية 30.

سر حب النبي صلي الله عليه و آله لفاطمة عليها السلام

«إذا اشتقت إلي الجنة قبّلْتُ نحرَ فاطمة». (1)

كتب كل المؤرخين وأرباب الحديث أنّ للرسول صلي الله عليه و آله علاقةً عجيبةً بابنته فاطمة عليها السلام بديهي أن علاقة النبي الكريم صلي الله عليه و آله بفاطمة عليها السلام لم تكن علاقة الوالد بولده، رغم أنَّ هذه العاطفة مكونة في وجود الرسول صلي الله عليه و آله ، إلّا أن حديثه وعبارته عن تلك العلاقة تشير إلي وجود معايير أخري. ونكتفي هنا بالاشارة إلي بعض الروايات التي صرحت بها مصادر الفريقين.

1 – «ما كان أحد من الرجال أحب إلي رسول اللّه من عليٍّ ولا من النساء أحب إليه من فاطمة». (2)

الطريف أن جمعاً كبيراً من أرباب الحديث قد روي هذا الحديث نقلاً عن عائشة.

2 – عند ما نزلت الآية الشريفة:

ي لا تَجْعَلوا دعاء الرّسولِ بينَكم كدعاء بعضكم بعضاًي. (3)

لم يخاطب المسلمون الرسول صلي الله عليه و آله باسمه، بل أخذوا ينادونه يا رسول

1– – الفضائل الخمسة، ج3 ص127.

2– – نُقل مضمون هذا الحديث في العشرات من الأحاديث التي رواها أهل السنّة (إحقاق الحق)، ج10، ص 167.

3– – سورة النور، آية 63.

اللّه أو يا أيها النّبي – تقول فاطمة عليها السلام لمّا نزلت الآية الشريفة هبت رسول اللّه أن أقول له يا أبه. فكنت أقول: يا رسول اللّه، فأعرض عني مرةً واثنين أو ثلاثاً، ثم أقبل عليَّ فقال: يا فاطمة إنّها لم تنزل فيك ولا في أهلك ولا في نسلك، أنت مني و أنا منك، إنّما نزلت في أهل الجفاء والغلظة من قريش، أصحاب البذخ والكبر ثم أضاف هذه العبارة الروحية العجيبة قولي يا أبه فإنّها أحيي للقلب وأرضي للرّب» (1).

لقد كان لصوت فاطمة عليها السلام الحنون وهي تردد «يا أبتاه» وقعاً مؤثراً في نفس الرسول صلي الله عليه و آله كوقع أمواج النسيم علي البراعم المتفتحة.

3 – جاء في حديثٍ آخر

«كان رسول اللّه صلي الله عليه و آله إذا سافر كانت آخر الناس عهداً به فاطمة وإذا رجع من سفره كانت عليها أفضل الصلاة أوّل الناس عهداً به». (2)

4 – نقل كثير من محدثي الشيعة والسنّة حديثاً للرسول صلي الله عليه و آله قال فيه:

«من آذاها فقد آذاني ومن أغضبها فقد أغضبني من سرها فقد سرني ومن سائها فقد سائني»

لا شك أن حرمة الزهراء صلي الله عليه و آله ورفعتها انما تعود لسمو شخصيتها وسمو مكانتها واخلاصها وعلو ايمانها وعبوديتها، ولا غرو فهي أم الائمة و زوج أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

لكنّ الرسول صلي الله عليه و آله أراد أن يفهم المسلمون حقيقة أخري ويفصح عن رأي الاسلام بشأن أمر آخر فيخلق ثورة فكرية و ثقافية في ذلك الوسط فيقول:2.

1– – مناقب ابن شهر آشوب، ج3، ص 320.

2– – الفضائل الخمسة، ج3، ص 132.

البنت ليست كائنا يجب أن توأد.

أنظروا ... أني أقبل يد ابنتي، واجلسها مكاني، وأكن لها عظيم احترامي وتقديري.

البنت إنسان كسائر الناس، نعمة من نعم الخالق، وموهبة إلهية.

وأنها كأخيها الرجل في سيرها نحو الكمال والقرب الالهي، وهكذا أعاد رسول اللّه صلي الله عليه و آله للمرأة شخصيتها التي تصدعت في ذلك الوسط المظلم.

ص: 17

فاطمة أم ابيها

قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله : «انّ اول شخص يدخل علي الجنة فاطمة بنت محمد» (1)

كان المسلمون يعيشون مرحلة الاعداد في مكة، في ظل ظروف قاسية للغاية. كانت بداية انبثاق الدعوة الاسلامية، والفئة الاسلامية قليلة، بينما كانت العدة والعدد والسطوة والثروة بيد خصوم الدعوة الجفاة، وكان لهم أن يفعلوا ما شاءوا بالمسلمين. فلم يتورعوا عن أذي المسلمين، كما لم يكفوا عن الاساءة إلي النبي صلي الله عليه و آله والطعن في شخصه.

وقد شهد ذلك العصر بروز شخصيتين علي مستوي التضحية والفداء:

فكانت «خديجة» من بين النساء؛ التي كانت سكن رسول اللّه صلي الله عليه و آله تواسيه بحبها وحنانها فتزيل عن قلبه الهم والغم. أما من بين الرجال فكان (ابوطالب) والد اميرالمؤمنين علي عليه السلام والّذي كان يتمتع بمكانة مرموقة في المجتمع المكّي، إلي جانب حكمته و حنكته العالية. فكان يقي رسول اللّه صلي الله عليه و آله ولا يتواني في الدفاع عنه، كان درعه وعونه إزاء خصوم الدعوة. وللأسف فقد توفي هذان العظيمان في السنة العاشرة للهجرة

1- - أورده «الكليني» في «الكافي» وطائفة من علماء العامة في مصادرهم من قبيل «كنز العمال» و «ميزان الاعتدال»، كما نقله آخرون.

فحزن رسول اللّه صـلي الله عليه و آله حزناً شديـداً و بقي وحـده في الساحة. وقد بانت شدة حزنه بهذين الفردين – والذين كان لكل منهما دوره في إنتشار الاسـلام – حين سـمي ذلك العام ب «عام الأحزان». ولكن لا يسلب اللّه المصطفين من عباده نعمة الافاض عليهم مثلها، فقد خلّف كل منهما ولدا يواصل نهجهما. فكان علي بن أبي طالب عليه السلام كأبيه يقي رسول اللّه صلي الله عليه و آله بنفسه، كان كذلك من انبثاق الدعوة، وهكذا سد الفراغ الذي تركه أباه بعد رحيله.

بينما خلّفت خديجة (فاطمة) فكانت البنت الحنونة الشجاعة والمضحية التي وقفت إلي جانب أبيها تشد أزره وتشاركه همه و غمه.

كان أميرالمؤمنين عليه السـلام في التاسـعة عشرة من عمره، بينما لم تكن فاطمة – علي ضوء الروايات الصحيحة – قد جاوزت الخامسة من عمرها.

الجدير بالذكر انهما عاشا معاً في بيت رسول اللّه صـلي الله عليه و آله يؤنسانه ويخففان عنه ألم الوحدة. فقد كانت السنوات الثلاث الاخيرة التي سـبقت الهجرة مملوءة بالاذي والمرارة والمعاناة بسـبب الجهود المضـنية التي كان يبذلها أعداء الدعوة من أجل القضاء علي الاسـلام والمسـلمين. لقد نالت قريش من رسول اللّه صـلي الله عليه و آله من الاذي ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب حتي إعترضه سـفيه من سفهاء قريش فنشـر علي رأسه التراب، فدخل رسول اللّه صلي الله عليه و آله بيته والتراب علي رأسه، فقامت إليه فاطمة عليها السلام فجعلت تمسح التراب عن رأسه وهي تبكي ورسول اللّه صلي الله عليه و آله يقول لها: لا تبكي يا بنية، فان اللّه مانع أباك. (1)

وروي ابن عبّاس: أن قريشاً اجتمعوا في الحجر فتعاقدوا باللّات والعزي ومناة لو رأينا محمداً لقمنا مقامٍ رجل واحدٍ ولنقتلنّ، فدخلت6.

1- – سيرة ابن هشام، ج1، ص 416.

فاطمة عليها السلام علي النبي صلي الله عليه و آله باكيةً وحكت له مقالهم، فقال: يا بنية أدني وضوئي فتوضأ وخرج إلي المسجد، فلمّا رأوه قالوا: هاهو ذا و خفضت رؤوسهم، وسقطت أذقانهم في صدورهم فلم يصل رجل منهم، فأخذ النبي صلي الله عليه و آله قبضةٍ من التراب فحصبهم بها و قال: شاهت الوجوه، فما أصاب رجلاً منهم إلّاقتل يوم بدر. (1)

وهذا يدل علي أنَّ فاطمة عليها السلام لم تكن تخدم والدها في البيت فحسب، بل و تفكر بكيفية الدفاع عنه و نجاته في خارج البيت.

حيث روي أنها كانت الوحيدة في الدفاع عنه عليها السلام عندما رمي عليه أبوجهل روث البقر، و هو صلي الله عليه و آله يصلي وأصحابه عند الكعبة. فلم يجرؤ أحد علي التدخل، لكنها خرجت و أسمعت أبا جهل ما روعه عن الاستمرار في السخرية من النبي صلي الله عليه و آله .

نعم... حتي عند افتقار الجرأة في الشجعان من الرجال في الدفاع عن رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، نري هذه البنت الشجاعة الصغيرة تسارع في الدفاع عن رسول اللّه صلي الله عليه و آله .

بعد أن انقضت فصول معركة أحد و غادر جيش العدو ساحة الوغي، كان الرسول صلي الله عليه و آله لا يزال في ميدان أحدٍ وقد كسرت رباعيته و شج جبينه، وبينما هو كذلك إذا أقبلت فاطمة عليها السلام وهي صغيرة السن من المدينة إلي أحدٍ سيراً علي الأقدام، لتقوم بغسل وجهه المبارك وإزالة الدم عن محياه الشريفة، لكن الجبين لم يزل ينزف.

عندها قامت بحرق قطعة من الحصير، ثم وضعت رماده، علي مكان الجرح فانقطع النزيف، والأعجب من ذلك أنّها كانت تهيء لأبيها السلاح1.

1- - المناقب، ج1 ص 71.

في المعركة التي جرت في اليوم القادم. (1)

في معركة الأحزاب التي هي من أهمِّ الغزوات الإسلامية، وفي أحداث فتح مكة عندما انتصر جنود الإسلام علي اخر متراس للمشركين و السيطرة علي البيت العتيق وتخليصه من الأصنام التي كانت تلوثه، نري أيضاً فاطمة عليها السلام واقفةً إلي جانب أبيها، ففي الخندق تقبل عليه بأقراصٍ من الخبز معدودة بعد أن بقي أياماً بدون طعام، وفي الفتح المبين نراها تضرب له خيمته وتهيء له ماء ليستحم و يغسل، حتي يزيل عن جسده المبارك غبار الطريق، ويرتدي ثياباً نظيفة يخرج بها إلي المسجد الحرام.م.

1- - حدثت غزوة «حمراء الأسد» عندما عاد المشركون من وسط الطريق صوب المدينة بعد معركة «أحد» حتي يكملوا ضربتهم التي وجهوها إلي المسلمين، لكن اللّه أراد أن يرجعوا خائبين، لذا فقد ألقي سبحانه وتعالي الرعب في قلوبهم عندما واجهوا المسلمين حتي المجروحين منهم، فتراجعوا عن عزمهم.

فاطمة عليها السلام زوجة أمير المومنين علي عليه السلام

«لو لم يخلق عليٌّ لم يكن لفاطمة كفوٌ» (1)

الزواج الذي عقد في ملكوت السموات

كمالات فاطمة الرفيعة من ناحية و كونها بنت رسول اللّه صلي الله عليه و آله من ناحية أخري شرف نسبها من ناحيةٍ ثالثة.

كان سبباً في سعي الكثير من كبار أصحاب الرسول صلي الله عليه و آله لخطبتها الا أن الرسول صلي الله عليه و آله رفض تزويجها، و غالباً ما يكرر قوله:

أمرها الي ربِّها!

الأعجب من ذلك خطبة «عبد الرحمن بن عوف»، ذلك الرجل الثري الذي كان ينظر الي الامور من زاوية مادية، علي ضوء التقاليد و الاعراف الجاهلية، فكان يعتقد بان المهر الغالي دليل علي عظم موقع المرأة و مكانتها.

فعن أنس بن مالك قال:

ورد عبدالرحمن بن عوف الزهري و عثمان بن عفان الي النبي صلي الله عليه و آله ، فقال له عبدالرحمن يا رسول اللّه تزوجني فاطمة ابنتك، و قد بذلت لها من الصداق مائة ناقة سوداء زرق الأعين كلها قباطي مصر، و عشرة آلاف

1- كنوز الحقائق، ص124.

دينار –و لم يكن من أصحاب رسول اللّه أيسر من عبدالرحمن و عثمان – و قال عثمان: و أنا أبذل ذلك، و أنا أقدم من عبدالرحمن إسلاماً.

فغضب النبيّ صلي الله عليه و آله من مقالتهما، فتناول كفاً من الحصي فحصب به عبدالرحمن و قال له: إنّك تهول عليَّ بمالك؟ فتحول الحصي دراً، فقومت درّة من تلك الدر فإذا هي تفي بكلِّ ما يملكه عبدالرحمن. (1)

بلي... يجب أن تشخص و تطبق المثل الاسلامية في زواج فاطمة عليها السلام ، و يتعرف المجتمع الإسلامي علي القيم و المعايير الإسلامية السامية، و يسحق السنن البالية من عهد الجاهلية.

وبينما كان حديث زواج فاطمة يدور علي ألسن أهل المدينة، اذ ذيع فجأة أن رسول اللّه صلي الله عليه و آله لن يزوجها من غير علي بن أبي طالب عليه السلام .

علي بن أبي طالب عليه السلام الذي خلت يده من المال و من كلِّ ثروةٍ دنيوية، و لم يكن يتحلي بأيٍّ من الميزات التي تقيم لها الجاهلية و زناً، لكنه كان يتمتع بايمانٍ و قيمٍ إسلاميةٍ أصليةٍ تملأ كيانه من مفرق رأسه إلي أخمص قدميه.

و عندما تحقّق القوم علموا أنَّ وحياً سماوياً قد أمر الرسول صلي الله عليه و آله بعقد هذا الزواج التاريخي المبارك، اضافة الي أنه صلي الله عليه و آله قال:

«أتاني ملك فقال يا محمد ان اللّه يقرئك السلام و يقول لك: إني قد زوجت فاطمة ابنتك من عليٍّ ابن أبي طالب في الملأ الاعلي، فزوجها منه في الأرض». (2)1.

1- تذكرة الخواص، ص306،استخرجتها من كتاب «فاطمة الزهراء بهجة و قلب المصطفي» ص462.

2- ذخائر العقبي، ص31.

عندما دخل أمير المؤمنين علي عليه السلام علي رسول اللّه صلي الله عليه و آله و قد أخذ الحياء منه مأخذه، جلس بين يديه عليه السلام و لم يستطع التكلم لجلالة و هيبة صاحب الرسالة عليه السلام فقال له عليه السلام :

ما جاء بك؟ ألك حاجة؟ فسكت أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال عليه السلام : لعلك جئت تخطب فاطمة؟

فقال علي عليه السلام : نعم، فقال الرسول صلي الله عليه و آله : يا علي! لقد سبقك آخرون خطبتها مني، و اني كلما عرضت الامر عليها لم تظهر موافقتها، دعني أحدّثها في شأنك.

صحيح أن هذا الزواج قد عُقد في السماء و يجب أن يتم، الاّ أن احترام حرية المرأة في اختيار زوجها عموماً، و شخصية فاطمة عليها السلام خصوصاً تحتم علي الرسول صلي الله عليه و آله أن يتشاور مع فاطمة عليها السلام في هذا الامر قبل البت فيه.

بعدها ذهب النبّي صلي الله عليه و آله لفاطمة عليها السلام و قال لها: أن عليّ بن أبي طالب ممّن قد عرفت قرابته و فضله في الاسلام، و انّي سألت ربّي أن يزوجك خير خلقه و أحبهم اليه، و قد ذكر من أمرك شيئاً، فماترين؟ فسكتت، فخرج رسول اللّه صلي الله عليه و آله و هو يقول:

«اللّه أكبر! سكوتها اقرارها»

بعدها تم عقد القران بواسطة الرسول صلي الله عليه و آله .

مهر فاطمة:

و الان، لنري ما هو مهر فاطمة؟

مما لا شك فيه أنّ زواج أفضل رجال العالم بسيدة نساء العالم و ابنة

رسول اللّه صـلي الله عليه و آله يجب أن يكون مثلاً رائعـاً، مثالاً لكلّ العصور و الازمنـة، لـذا توجه الرسول صـلي الله عليه و آله الي أمير المومنين علي عليه السلام بالقول:

يا أبا الحسن فهل معك شيء أزوجك به؟ فقال علي عليه السلام :

فداك أبي و أمي و اللّه ما يخفي عليك من أمري شيء، أملك سيفي، درعي، و ناضحي، و ما أملك شيئاً غير هذا، فقال له رسول اللّه صلي الله عليه و آله : يـا علي أما سـيفك فلا غني بك عنه تجاهـد به في سبيل اللّه و تقاتل به أعـداء اللّه، و ناضـحك تنضـح به علي نخلك و أهلك و تحمل عليه رحلك في سفرك، ولكنّي قد زوجتك بالدرع و رضيت بها منك. (1)

ونقرأ في روايةٍ أخري أنّ الزهراء عليها السـلام طلبت من أبيها عليه السـلام ، أن يكون مهرها الشـفاعة في المذنبين من أمّة محمد صلي الله عليه و آله ، فنزل جبرئيل عليه السلام علي الرسول عليه السلام مخبراً بتلبية اللّه سبحانه و تعالي لطلب فاطمة عليه السلام . (2)

ربّما أن أغلي قيمة ذكرها التأريخ لهذا الدرع كانت خمس مائة درهم.

هذا من ناحية، و من ناحيةٍ أخري نقرأ في الحديث أنّ فاطمة عليه السـلام سألت النبي صـلي الله عليه و آله أن يكون صداقها الشـفاعة لأمته يوم القيامة، فنزل جبريل عليه السلام ، و معه رقعة من حرير مكتوب عليها: جعل اللّه مهر فاطمة الزهراء شفاعة المذنبين من أمة أبيها. (3)

نعم، و بهـذا الشـكل يجب أن تحطم القيم الخاطئـة، لتحلّ محلها القيم الأصـيلة، و هكذا يجب أن تكون سـيل و أعراف ذوي الايمان من الرجال و النساء، و علي هذا النهج تكون حياة القادة الحقيقيين لعباداللّه «عزوجل».7.

1- احقاق الحق، ج10،ص358

2- أخبار الدّول، ص88.

3- احقاق الحق، ج10،ص367.

جهاز فاطمة عليها السلام :

المهر، الجهاز، و مراسم الزفاف هي المشاكل الكبري الثلاث التي تواجه العوائل بشأن الزواج و هي المشاكل التي تطغي أحيانا علي الحياة الزوجية فتجعل الزوجين يعيشان الامرين طيلة عمرهما.

و بسبب هذه الامور الثلاثة نلاحظ أحياناً نشوء مشاجراتٍ لفظيةٍ، و أخري نزاعاتٍ دموية، و ما أكثر ما أُضيع من الاموال في هذه المجال بسبب التظاهر و التفاخر و المنافسة الطفولية و القبيحة بين العوائل.

و الموسف أن ترسبات الافكار الجاهلية ما زالت عالقة في أذهان من يدعون تمسكهم بالاسلام الحنيف.

و لكن يجب أن يكون جهاز سيدة الاسلام كما هو مهرها مثالاً نموذجياً للجميع.

و كما أمر رسول اللّه فقد بيع الدرع بأربعمائة و سبعين درهماً، ثم جاء علي عليه السلام بالمهر الي الرسول. قسم الرسول صلي الله عليه و آله المال الي ثلاثة أقسام، حيث قبض قبضةً منه و دفعه الي بلال و قال له: ابتع لفاطمة طيباً، ثم قبض بكلتا يديه مقدار من ذلك المال و دفعه الي جماعةٍ قائلاً لهم: اشتروا به ما يصلح فاطمة من ثيابٍ و أثاثٍ للبيت، و دفع مبلغاً آخراً لامّ أيمن لتشتري به أمتعةً الي البيت.

من الواضح أن جهاز العرس الذي يُهيّا بهذا القدر من المال، لا بدَّ أن يكون بسيطاً رخيص الثمن.

و قد ذكرت كتب التأريخ أن جهاز سيدة نساء العالمين قد تكوَّن من ثمانية عشر نوعاً من الحاجيات، كلّها من ذلك المال، و نذكر هنا أهمّها:

قطيفة سوداء خيبرية

قميص بسبعة دراهم

سرير مزمل بشريط

أربع مرافق من ادم الطائف، حشوها أذخر (1)

ستر من صوف حصير هجير

رحي يدوية

سقاء من ادم

مخضب من نحاس

قعب للبن و شن للماء

جرّة خضراء... و أمثال ذلك

نعم هكذا كان جهاز سيدة نساء العالمين.

مراسم الزفاف:

أجري نبيّ الرحمة احتفالاً لهذا الزواج الذي اختاره اللّه سبحانه و تعالي، و لهذه العائلة التي كان لها الدور الأهم في تاريخ الاسلام، و التي انحدر منها النسل الطيب و أئمة الهدي، خلفاء اللّه في أرضه فأغضبت مراسم الاحتفال تلك أعداء المسلمين، و رفعت رأس الموالين عالياً، و جعلت الخصوم يفكرون بمعني الاسلام.

حضرت كلٌّ من «أم أيمن» و «أم سلمة» و هما امرأتان ذواتا منزلة رفيعة في الاسلام كما كانتا شغفتين بفاطمة الزهراء، عند رسول اللّه بيت عائشة مع باقي زوجاته، فأحدقن به و قلن: فديناك بآبائنا و أمهاتنا يا رسول اللّه و قد اجتمعنا لأمرٍ لو أنَّ خديجة في الاحياء لقرّت بذلك عينها.ة.

1- أذخر، نبات طيّب الرّائحة.

قالت «أم سلمة»: فلما ذكرنا خديجة بكي رسول اللّه ثم قال: خديجة و أين مثل خديجة، صدقتني حين كذّبني الناس و وازرتني علي دين اللّه و أعانتني عليه بمالها، انّ اللّه عز و جلّ أمرني أن أبشر خديجة ببيتٍ الجنة من قصب (الزمرد) لاصخب فيه و لانصب.

قالت «أم سلمة»: فقلنا: فديناك بآبائنا و أمّهاتنا يا رسول اللّه انّك لم تذكر من خديجة أمراً الاّ و قد كانت كذلك غير أنّها قد مضت الي ربّها، فهنأها اللّه بذلك و جمع بيننا و بينها في درجات جنته و رضوانه و رحمته، يا رسول اللّه و هذا أخوك في الدنيا و ابن عمّك في النسب علي بن أبي طالب يجب أن تدخل عليه زوجته فاطمة، و تجمع بها شمله.

فقال: يا أم سلمة فما بال علي عليه السلام لا يسألني ذلك؟ فقلت: يمنعه الحياء منك يا رسول اللّه.

قالت «أم أيمن»: فقال لي رسول اللّه: انطلقي الي عليٍّ فائتيني به فخرجت من عند رسول اللّه فاذا عليّ ينتطرني ليسألني عن جواب رسول اللّه، فلما رآني قال: ما وراءك يا أم أيمن، قلت: أجب رسول اللّه.

قال: فدخلت عليه و قمن أزواجه فدخلن البيت و جلست بين يديه مطرقاً نحو الارض حياءً منه، فقال أتحبُّ أن تدخل عليك زوجتك؟ فقلت و أنا مطرق: نعم فداك أبي و أمي، فقال: نعم و كرامة يا أبا الحسن أدخلها عليك في ليلتنا هذه أو في ليلة غد ان شاء ا للّه، فقمت فرحاً مسروراً و أمر أزواجه أن يزين فاطمة و يطيبنها و يفرشن لها بيتاً ليدخلنها علي بعلها، ففعلن ذلك.

و أخذ رسول اللّه من الدراهم التي سلمها الي «أم سلمة» عشرة دراهم فدفعها اليّ و قال: اشتر سمناً و تمراً و أقطا، فاشتريت و أقبلت به الي

رسول اللّه، فحسر عن ذراعيه و دعا بسفرة من أدم و جعل يشدخ التمر و السمن و يخلطهما بالأقط حتي اتخذه حيساً.

ثمَّ قال يا علي ادعُ من أحببت، فخرجت الي المسجد و أصحاب رسول اللّه متوافرون، فقلت: أجيبوا رسول اللّه، فقاموا جميعاً و أقبلوا نحو النبي، فأخبرته بأن القوم كثير، فجلل السفرة بمنديل، و قال: ادخل عليَّ عشرة بعد عشرة، ففعلت و جعلوا يأكلون يخرجون و لاينقص الطعام، حتي لقد أكل من ذلك الحيس سبع مائة رجل و امرأة ببركة النبي.

قالت «أم سلمة»: ثم دعا بابنته فاطمة، و دعا بعليٍّ، فأخذ عليّاً بيمينه و فاطمة بشماله، و جعلهما الي صدره، فقبل بين أعينهما، و دفع فاطمة الي عليٍّ و قال: يا علي نعم الزوجة زوجتك، ثم أقبل علي فاطمة و قال: يا فاطمة نعم البعل بعلك ثمَّ قام يمشي بينهما حتي أدخلهما بيتهما الذي هييء لهما، ثم خرج من عندهما فأخذ بعضادتي الباب فقال: طهركما اللّه و طهر نسلكما أنا سلم لمن سالمكما و حرب لمن حاربكما، أستودعكما اللّه و استخلفه عليكم. (1)

ليعتبر عشاق الدنيا و ذوو الايمان الضعيف المتأثرون بزخارف هذا العالم المادي، الذين يرون كرامة و جلال العائلة في التشريفات القاصمة للظهر التي تقام في العرس، و ليستلهموا من هذا البناء التربوي للانسان الذي يعدّ ثروةً و كنزاً لسعادة كلٍّ من الشباب و الشابات، و ليتفحصوا صفحات التأريخ و يشاهدوا بأعينهم كيف طبقت تعاليم الاسلام أحداث «خطبة» و «مهر» و «جهاز» و «مراسم حفلة زواج» سيدة النساء فاطمة الزهراء عليه السلام .2.

1- بحار الانوار، ج43، «تاريخ الزهراء» ص 131-132.

فاطمة عليها السلام بعد رحيل أبيها صلي الله عليه و آله

«ما زالت بعد أبيها معصبة الرأس باكية العين، محترقة القلب» (1)

انقضت الفترة السعيدة من حياة سيدة النساء فاطمة الزهرا بسرعة، و ذلك بوفاة النبيّ الكريم -رغم أنها لم تذق معني السعادة في أيٍّ من مراحل حياتها بسبب الضغوط و الحروب و المؤامرات التي حاكها الاعداء ضد الاسلام و الرسول، مما سلب روح الزهراء الهدوء و الطمأنينة.

و بارتحاله الي الرفيق الاعلي بدأت رياح الظلم و المصاعب تهب علي آل بيته الميامين. فظهرت من جديد أحقاد بدرٍ و خيبر و حُنينٍ التي دُفنت في عصر الرسول الأمين، تحت التراب، و ثار المنافقون و الاحزاب لينتقموا من الاسلام و من آل بيت محمد و خصوصاً ابنته فاطمة الزهراء التي كانت تمثل مركز الدائرة التي صوبت نحوها سهام الأعداء المسمومة.

ألم فراق أبيها من ناحية

مظلومية أمير المومنين علي عليه السلام المؤلمة من ناحيةٍ أخري.

المؤامرات التي حاكها أعداء الاسلام من ناحيةٍ ثالثة.

و قلق فاطمة علي مستقبل المسلمين و كيفية الحفاظ علي تعاليم القران.

1- المناقب، ج3، ص362.

اجتمعت هذه الامور مع بعضـها لتعكر صـفوها و تدمي قلبها، لكن فاطمة أخفت همها و غمها عن زوجها مخافة أن يتسع جرحه و معاناته من ظلم الأمـة له، لهـذا كانت تذهب الي قبر أبيها لتبثَّ اليها آلامها و أحزانها و ما آل اليه حالها، فقد قالت ذات مرّة:«يا أبتاه بقيت و الهةً و حيرانةً فريدة، قد انخمد صوتي و انقطع ظهري و تنغص عيشي». ومرةٍ أخري نراها تقول: قُل للمُغيّبِ تَحتَ أطباقِ الثّري

لماذا بكت فاطمة بهذا الشكل؟

لم كلُّ هذا الجزع؟

لماذا عدم الارتياح هذا، كأنها الحرمل علي النار؟

لماذا؟

لنسمع منها جوابها علي هذه التساؤلات.

تقول أم سلمة:

بعد وفاة الرسول الكريم ذهبت لزيارة و تفقد حال سيدة الاسلام فاطمة الزهراء فلخصت لي حالها بهذه الجمل العميقة:

أصبحت بين كمدٍ و كرب

فقد النبيِّ و ظلم الوصي

هُتكَ و اللّه حجابه...

ولكنها أحقاد بدرية

و ترات أحدية

كانت عليها قلوب النفاق مكتمنة. (1)

و رغم ذلك لم يخف علي أحد ما تحملته في سبيل الدفاع عن الحرمة العلوية المقدّسة و حماية أمير المومنين علي بن أبي طالب.

فبالرغم من قصر حياتها بعد أبيها، حيث استجاب اللّه سبحانه و تعالي دعاءها و لبّت بدورها نداء الباري «عز و جل» لتنتقل الي جوار ربّها و تسارع لرؤية أبيها، بالرغم من ذلك فقد بذلت كلَّ ما في وسعها من فداءٍ و تضحيةٍ في الدفاع عن الاسلام و التذكير بحق أمير المومنين علي.

صلي اللّه عليك يا بنت رسول اللّه و رحمة اللّه و بركاته.5.

1- مناقب ابن شهر آشوب، ج2، ص225.

فضائل الزهراء عليها السلام

اشارة

يجدر بالذكر هنا أن كل الاحاديث المذكورة في هذا القسم و التي تصل الأربعين حديثاً قد نقلت من مصادر أهل السنّة المشهورة و المعروفة مع ذكر أدلتها.

ص: 33

منزلة فاطمة عليها السلام

يتبادر الي ذهن البعض من الـذين يجهلون أو يتجاهلون الحقائق أن الفضائل الكريمـة المـذكورة لأهل بيت النبوّة، و منزلتهم الساميـة انّما تعزي الي حسن ظنِّ مواليهم و تعلقهم الشديد بآل محمّد.

فلأنهم يعشقون آل البيت لذا فهم لايرون الامور الاّ من هذا المنظار، فكل ما يُروي عنهم من فضيلة يؤمن بها الموالي دون أن يعيروا أهميةً لسندها و مدي صحتها.

و لرفع سوء الظَّنِّ من أولئـك البعض، و لزيادة اطمئنان المحبين و الموالين فسوف نلجأ الي مصادر المـذاهب الاخري المشـهورة و كتبهم المعروفة لننقل ما جاء فيها من احاديثٍ و فضائل عن أهل بيت النبوّة.

لقـد ذكرنا من قبل فضائل سـيدة النساء فاطمـة الزهراء من خلال شـرح موجزٍ لحياتها المباركة، و غايتنا في هذا القسم من الكتاب أن نطلع علي المقام المعنوي الرفيع لبنت رسول اللّه (و من خلال كتب أهل السنّة المشهورة).

و قبل الدخول في صلب هذا البحث، نري من اللازم أن نذكر بعض النقاط المهمة:

1- من الظريف أن معظم المناقب و الفضائل التي ذكرت في كتب

الشيعة عن فاطمة الزهراء، قد ذكرها أهل العامة في كتبهم المشهورة أيضاً، الاّ القليل منها، و التي ذكرت في مصادر الشيعه المعتبرة دون أن ترد في كتب الاخرين.

2- لم يُنقل في هذا القسم من الكتاب الذي بين يديك أي روايةٍ عن كتب الشيعة، كما اقتصرنا علي كتب الحديث و التاريخ المشهورة و المعتمدة من بين جميع كتب و مصادر العامة.

3- من المثير للدهشة، تلك العاصفة الهوجاء التي حلت بالأمة الاسلامية بعد وفاة رسول اللّه بسبب الخلافة، و التي كانت تستبطن حرف مسار الخلافة عن آل بيت محمد الي أشخاص آخرين، فبعد أن نصَّبهم اللّه سبحانه و تعالي خلفاءً للنبيِّ في حياته قام هولاء الأشخاص بتنحيتهم عنها و الاستيلاء علي مسند الخلافة بعد وفاته.

اقصاء أهل البيت سبّب أن قام الحكّام بمحو فضائلهم و مناقبهم، و بالتالي محو ما يُثبت أولويتهم و أحقيتهم بخلافة رسول اللّه محمد.

بالاضافة الي أنّ اثبات تلك الفضائل و المناقب ستدعو الجميع للتساؤل ما معني أن يتصّدي الاخرون لهذا الامر و أهل بيت النبوة يتمتعون بهذه المنزلة و هذا المقام؟!

لم لا نقدم من قدمه اللّه تعالي و الرسول؟

و لماذا يحرم المسلمون من بحر علوم هولاء؟

لماذا...و لماذا؟

لذا يتضح لنا أن محو أو تجاهل تلك الفضائل كان جزءاً من خططهم السياسية. وقد بلغت هذه المسألة أوجها في عصر حكومة «بني أمية» و «بني العباس»، و لم يكن في السر أو في الخفية بل علناً و أمام الملأ، و لم

يكتفوا بمحو فضائل أهل البيت فحسب بل و بدأوا باثبات فضيلة الاخرين من خلال نشر أحاديث و روايات موضوعة كاذبة، حتي وصل بهم الأمر الي شراء بعض الصحابة -أو أشباه الصحابة -لهذا العمل القبيح، و أجزلوا لهم العطاء.

فلقد رُوي أنَّ معاوية سلّم لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتي يروي أنّ الايتين الشريفتين التاليتين قد نزلتا في علي بن أبي طالب و هما:

ي وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَي مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّي سَعَي فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ (1)ي.

و أنَّ الاية التالية:

ي وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللّهِ ي (2)

قد نزلت في عبدالرحمن بن ملجم.

فلم يقبل فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل فبذل له أربعمائة ألف فقبل و روي ذلك.

و بهذا الشكل أصبح ذكر مناقب و فضائل آل البيت ممنوعاً علي المنابر و في المجالس بل و يُعدُّ جرماً سياسياً في رأي النظام الحاكم، و من يخالف فقد حلّ عليه غضب النظام، فيسجن في بئرٍ مظلم أو يقطعوا لسانه أو يصلبوه.7.

1- سورة البقرة، آية 204، 205.

2- سورة البقرة، آية207.

بعـد ما جاء معاوية الي المدينة، حذر الصـحابي و المفسـر المعروف «ابن عباس» الذي كانت له مكانةً خاصةً في المجتمع الاسـلامي من ذكر فضائل عليِّ بن أبي طالب قال ابن عباس لمعاوية:

أتمنع قراءة القران؟ (يعني أني أتلو الايات التي وردت في حقِّ علي).

قال: اقرأ القران ولكن لا تفسر آياته!

لقـد قـدر في مثـل هـذه الظروف أن تمحي فضائل آل البيت، لاسـيما أن وسائل الاعلام آنـذاك كانت مقتصـرة علي هـذه المنابر و خطب الصلاة.

ولكن العجيب أن فضائل و مناقب آل بيت النبي لم تختف رغم الجوِّ المشـحون الذي صـنعه المنافقون و انّما ملأت كتب الصديق و العدو أيضاً.

و الاعجب من ذلك أن نشاهد من بين تلك الوثائق التي تدل علي فضائلهم اعترافاتٍ صريحةٍ لاشخاصٍ مثل «معاوية» و «عمرو بن العاص» و بعض الخلفـاء المتقـدمين يثبتون بهـا تلك الفضائل و المناقب التي كان يتمتع بها آل البيت، علماً أنّ هـذه الاعترافات قـد أرّختها أيـدي مؤرخيهم علي صفحات التأريخ!

وما ذلك الاّ دليل علي مشيئة اللّه في فضح المنافقين، و اعجاز كبيرٍ لاهل بيت العصمة.

4- أظهر السـاعون في محو فضائل آل بيت الرسول الكثير من التعصّب، حيث لم يكتفوا بتشويه سـمعة أمير المؤمنين علي و أبنائه الكرام و درج أسـمائهم في القائمة السوداء لاولئك الحاقدين، و انما سـعوا الي هدم و تحطيم مكانتهم الاجتماعية. و الأمر من ذلك أنهم عمدوا الي الحاق الأذي و الاساءة بكل كلِّ من له علاقه بآل بيت محمد أياً كان نوعها.

فلماذا يصر البعض علي رغم الاثار و الدلائل التأريخية التي تشير الي

ايمان أبي طالب عم و حامي الرسول بأنه مات كافراً و مشركاً؟! زاعمين أن الاية الشريفة.

«و هُمْ يَنْهَون عنه و ينؤن عنه» (1) قد نزلت فيه!

لا لشيء سوي أنه والد أمير المومنين علي.

و لماذا اصرار هم علي أنّ «باذر الغفاري» ذلك الرجل الشجاع، ذو «مذهبٍ اشتراكي»، حيث يتهمونه في كتبهم بأنّه يحمل عقائداً اشتراكية؟!

ليس الا... كونه من خلّص أصحاب أمير المؤمنين، و من المعترضين علي الخليفة الثالث في مسألة اتلاف و هدر مال المسلمين.

و هناك الكثير من مثل هذه التساؤلات.

فياتري بعد هذه المعاداة، ألا يعجب المرء من وجود كلِّ هذه الفضائل و المناقب لال البيت في كتب مخالفيهم؟ أليس من المعجزة أن تعبر أحاديث تحكي فضائل آل محمد عصوراً و أزمنة حارب فيها الحكام محبي آل البيت بشتي الطرق، حتي أنهم كانوا يعتبرون تسمية المولود باسم عليٍّ جرماً لايُغتفر؟!

5 – المثير للدهشة أن حذف تلك الفضائل لم يكن منحصراً بالقرون الاولي للاسلام، أو بعصر بني أمية و بني العباس فقط، ففي العصر الحاضر الذي يسمي «عصر المطالعات و الدراسات التاريخية الدقيقة» حيث طبع الكتب الاسلامية، و نشرها في مختلف الدول الاسلامية لذا فانّ أيَّ تغيير أو تحريفٍ أو حذف للحقائق يسبّب فضيحة كبيرة، رغم ذلك نريا.

1– – سورة الانعام آية 26 «نقرأ شرحاً مفصّلاً عن هذه التهمة الكبيرة و الدلائل التي تشير الي بطلانها في المجلّد الخامس من «تفسير الامثل» من ص 191 و ما بعدها.

محققون متعصبون»! (ان أمكن الجمع بين التحقيق و التعصّب) قد انتهجوا نفس أسلوب الامويين و العباسيين في حذف و تغيير و تحريف الحقائق. مما حـدي بالعلامـة «الاميني» و هو المحقق الاسـلامي الكبير الي أن يـذكر في كتابه «الغدير» بعضاً من النماذج. منها كيف أن المؤرخ المعروف «الطبري» حرّف الحديث المربوط بقصة يوم الدار و تفسير آية «و أنذر عشير تِكَ الأقربين» و استعداد عليٍّ للوقوف بجانب رسول اللّه و اعلانه بوصاية و وزارة علي من بعده، حرف كل ذلك رغم سند الحديث المعتبر عند كلِّ المذاهب.

و الأسوأ من ذلك ما فعله «محمد حسـين هيكل» حيث نقل الحديث في الطبعة الاولي من تأريخه ثمَّ حذف القسم الاهم من الحديث في الطبعة التالية. (1)

و الان و كما قلنا آنفاً فانّنا سـنذكر مناقب فاطمة الزهراء و مقامها الرفيع من خلال الاحاديث التي نقلتها كتب العامة المشهورة. و كما ذكرنا أيضاً فسوف لن ننقل أي حـديثٍ من مصادر و طرق الشـيعة (رغم أنها معتبرةً جداً و من الدرجة الاولي) فنخلي الميدان لاحاديث الاخرين حتي يتبين أن تألق هذه السيدة لا يمكن أن يخفيه الستار الذي ألقاه الحاقدون.

يتمّ التركيز هنا علي عشر مباحث تعتبر محاور أصليةٍ للموضوع وأن الزهراء:

1- أنها سيدة نساء العالمين.

2- حوراء أنسية.0.

1- انظر الغدير، ج2، ص 287-290.

3- محبوبة الرسول و بضعته.

4- مقربة الي اللّه يرضي لرضاها و يغضب لغضبها.

5- صاحبة التضحية الكبري و الفداء.

6- المقام العلمي لفاطمة.

7- كرامات سيدة النساء.

8- أوّل من يدخل الجنة.

9- أسامي فاطمة.

10- هدية النبي لابنته الزهراء.

ص: 41

سيدة نساء العالمين

من الطبيعي أن تختلف منزلة البشـر من واحدٍ لاخر. فمنهم من علا بفضيلته علي الملائكة المقربين، و منهم من هو أحطَّ من الحيوانات. و طبقاً لما ينصُّ عليه القران و يوصـي به الاسلام فانَّ «العلم و الايمان و التقوي و الصفات الانسانية الفاضلة» هي التي ترفع من مقام الانسان و قيمته. و بالاستناد الي هذه المعايير فان سيدة فاطمة الزهراء –و علي لسان رسول اللّه –سيدة نساء العالمين.

لقـد ورد في مصادر أهل السـنة المعروفـة كثيراً من الروايات تنصُّ علي أن فاطمة الزهراء أفضل نساء العالمين، حيث تحدث الرسول، بهذه لعدة مراتٍ و بتعابير مختلفة.

1– قال:

«ان أفضل نساء الجنة خديجة بنت خويلد و فاطمة بنت محمدٍ و مريم بنت عمران و آسية بنت مزاحم». (1)

2– و نقرأ في حديث آخر للرسول حين اعتل علة الموت عندما شاهد قلق و اضطراب فاطمة انه قال:

«يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين، و سيدة نساء هذه

1– نقل هذا الحديث في مستدرك الصحيحين، ج 2، ص497 ثم صرح بان سنده صحيح.

الامة، و سيدة نساء المؤمنين». (1)

و هنا تظهر أفضلية فاطمة المطلقة، حيث لم يورد الرسول في حديثه اسماً آخر.

3- نقل أبو نعيم الأصبهاني عن جابر بن سمرة. قال: جاء نبيّ اللّه فجلس و قال:

ان فاطمة وجعة فقال القوم: لو عدناها؟

فقام فمشي حتي انتهي الي الباب -و الباب عليها مصفق -قال، فنادي: شُدّي عليك ثيابك فان القوم جاؤوا يعودونك.

فقالت: يا نبيّ اللّه ما عليَّ عباءة. قال فأخذ رداءً فرمي به اليها من وراء الباب، فقال: شدّي بهذا رأسك، فدخل و دخل القوم فقعد ساعة فخرجوا، فقال القوم: تاللّه بنت نبيّنا علي هذا الحال؟

قال فالتفت فقال:

«أما انّها سيدة النساء يوم القيامة». (2)

4 - و بتعبير آخر رواه صحيح (3) البخاري - و هو من أشهر مصادر الحديث عند العامة -نقلاً عن عائشة أنها قالت:

أقبلت فاطمة كأنّ مشيتها مشية رسول اللّه فقال: مرحباً بابنتي ثم أجلسها عن يمينه ثم أسرَّ اليها حديثاً فبكت. فقلت استخصك رسول اللّه و أنت تبكين ثمَّ أنّه أسرَّ لها فضحكت.

قالت: فقلت لها ما رأيت كاليوم أقرب فرحاً من حزن، ما أسر اليك؟ق.

1- مستدرك الصحيحين، ج3،ص156، كما صرح بصحة سند هذا الحديث.
2- حلية الاولياء، ج2، ص42.
3- صحيح البخاري كتاب بدء الخلق.

فقالت فاطمة: ما كنت لأفشي سرّ رسول اللّه.

حتي اذا قبض الرسول سألتها، فقالت:

انّه أسـرّ اليّ و قال: كان جبرئيل يعارضـني بالقران في كلّ عامٍ و أنّه عارضني به هذا العام مرتين و لا أراه الاّ قد حضر أجلي و أنك أول أهلي لحوقاً بي و لنعم السلف أنا لك، فبكيت لذلك فقال أما ترضين أن تكون سيدة نساء أهل الجنة و نساء المومنين؟! فذلك الذي أضحكني.

ويُتضـح جيداً من التأمل في هذه الاحاديث أنه اذا قيل أنّ فاطمة واحدة من أربع من النساء الفاضـلات، فان ذلك لا ينافي كونها أفضل تلك النساء الأربع.

ودليلنا علي هذا ما يفيده الحديث التالي:

*5 – نقـل في كتـاب «ذخائر العقبي» عن ابن عباس أن الرسول الكريم قال:«أربع نسوةٍ سـيدات سادات عالمهنَّ: مريم بنت عمران و آسـية بنت مزاحم و خديجة بنت خويلد و فاطمة بنت محمد و أفضـلهن فاطمة (1) و بالطبع فان كلمة «أفضلهن» تشتمل علي عدة معان و تشير الي المنزلة العلمية و التقوي و الايثار و سائر الملكات الفاضلة.

لقـد صـرّح القران قائلاً: أن الملائكـة كانت تكلم مريم، كما في الايـة الشـريفة: ي اذ قالت الملائكـة يا مريم انَّ اللّه اصـطفاك و طهرك و اصطفاك علي نساء العالمين. (2).

و قد كلمت مريم الملائكة و هذا ما تنص عليه آية 16 الي آية 21 من5.

1– ذخائر العقبي، ص44، و أيضاً السيوطي في «الدر المنثور» ذكر هذا الحديث في أسفل آية 42 من سورة آل عمران.
2– سورة آل عمران، آية 42 كذلك آية 43و45.

سورة مريم و ينص القران علي أنه كان يؤتي لمريم بطعام من الجنة.

حيث نقرأ في الاية الشريفة:ي فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمَحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّي لَكِ هذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ي (1)

و يصفها في مكانٍ آخر بأنها «صديقة»، كما في الاية الشريفة:

ي مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّي يُؤْفَكُونَ ي (2)

و غير ذلك من الفضائل التي يثبتها للسيدة مريم و باقي النساء الفاضلات كآسية بنت مزاحم، و كذلك يثبت النبي مثل هذه الفضائل و الكرامات للسيدة خديجة الكبري.

و من هذا المنطلق نعرف أنَّ لفاطمة مقام عالي أو منزلة رفيعة مكرمة، خصوصاً ما جاء في رواية «الأفضيلة» التي تدل علي أنَّ هذه المفاخر و المناقب هي في الواقع جزء مما تتحلي و تتميز به فاطمة.5.

1- سورة آل عمران، آية 37.

2- سورة المائدة، آية 75.

ان اللبنـة الاـولي في بنـاء كيـان الانسان هي انعقاد «النطقـة»، لأنها علي أيـة حالٍ تحمل قسـماً مهماً من قيمه الوجوديـة. و لـذلك تواترت الروايات التي توصي بضرورة سلامة هذه اللبنة و صحة تكوينها.

و عند ما نطالع تأريخ حياة سيدة النساء نري أنها قد امتازت في هذا المجال عن جميع شخصيات العالم رجالاً و نساءً.

و من الأفضل أن نسمع هذا الحديث من فم رسول اللّه:

*6 – عن ابن عباس قال:

كان النبيّ يكثر تقبيل فاطمة فقالت له عائشة:

انك تكثر تقبيل فاطمة.

فقال: انّ جبرئيل ليلة أسـري بي أدخلني الجنة فأطعمني من جميع ثمارها فصار ماءً في صـلبي فحملت خديجة بفاطمة «فاذا اشـتقت لتلك الثمار قبلت فاطمة فأصبت من رائحتها جميع تلك الثمار التي أكلتها». (1)

*7– و جـدير بالـذكر أنّ بعض الروايـات قـد نصت علي فاكهـة «التفاح»، كما هو في كتاب «ذخائر العقبي» حيث ينقل «الطبري» حـديثاً للرسول

1– ذخائر العقبي، ص36.

عن جمع من الصحابة أنه قال: «لما أسري بي أدخلني جبريل الجنة فناولني تفاحةً فأكلتها فصارت نطفةً في ظهري فلما نزلت من السماء واقعت خديجة. ففاطمة من تلك النطقة» (1)

*8 – و قد نقل في حديث آخر أن الرسول قد تناول فاكهة «السفرجل» عند مروره بالجنة ليلة المعراج. جاء ذلك في «مستدرك الصحيحين» نقلاً عن «سعد بن مالك». (2)

*9 – و جاء في حديثٍ آخر أن الفاكهة التي تناولها الرسول كانت غير معروفةٍ لأهل الدنيا، كما أنها كانت لذيذةً و عطرة النكهة حيث نقل «السيوطي» في «الدرّ المنثور» عن الرسول أنه قال:

«لما أسري بي الي السماء أدخلت الجنة فوقفت علي شجرةٍ من أشجار الجنة لم أر في الجنة أحسن منها و لا أبيض ورقاً و لا أطيب ثمرةً، فتناولت من ثمرتها، فأكلتها فصارت نطفة في صلبي، فلما هبطت الي الارض واقعت خديجة، فحملت بفاطمة، فاذا أنا اشتقت الي ريح الجنة شممت ريح فاطمة» (3)

و في الواقع فانّ الحديث الأول في هذا الفصل يحوي و يفسر مجموع هذه الاحاديث، فطبقاً لما جاء فيه فان الرسول قد تناول من جميع فواكه الجنة و أنَّ نطفة فاطمة قد انعقدت من عصارة تلك الثمار. هذا مع الاخذ بنظر الاعتبار أن الدنيا التي نعيشها تختلف عن عالم الجنة بقدرٍ تعجز معه ألفاظنا عن تبيان حقائقها، و ما نذكره عنها ما هو الاّ اشارات مختصرة لما تتمتع بها.1.

1- ذخائر العقبي، ص44.

2- مستدرك الصحيحين، ج3، ص156.

3- «السيوطي» في «الدّر المنثور» في تفسير آيه «سبحانَ الذي أسري بعبده» -سورة الاسراء آية1.

علي كلِّ حال فان حوراءً أنسية بالمواصفات الخلقية و الطبيعية لاهل الجنة لابد و أن تكون نطفتها من عصارة فاكهة الجنة، و هذا ما امتازت به هذه السيدة علي سائر نساء العالمين.

كانت من نساء الجنة، نفسها و خلقتها، قلبها و روحها، لونها و هيئتها، قولها و حديثها، و غير ذلك من صفات و ميزات أهل الجنة، و خلاصة القول أنها من الجنة من رأسها الي أخمص قدميها.

فهل في تاريخ البشرية مثل هذا الوسام المشرف لغير هذه السيدة؟

ص: 48

فاطمة عليه السلام أحب الناس الي الرسول الكريم صلي الله عليه و آله

الحب و العشق، أقوي ما يربط بين موجودين.

يفيد قانون الجاذبية الذي يحكم عالم المادة أن قوة الجذب تتناسب طرديا مع حاصل ضرب الكتلتين و عكسيا مع مربع المسافة بينهما.

و يسري حكم هذا القانون في العالم المعنوي و العشق الالهي أيضاً.

فكلما سمت قيمة الأشخاص و تقاربت نفوسها زادت علاقة الحب و العشق بينها!

مع وجود اختلافٍ بسيطٍ يختص به عالم المادة، فأحياناً يولد الاختلاف و التضاد تجاذباً بين الجسمين (كما في التجاذب الحاصل بين الشحنتين الموجبة و السالبة)، علي خلاف ما يحدث في عالم الأرواح حيث تقوي رابطة الجذب كلما زاد الشبه فيما بينها، و تضعف إذا ما وجد التضاد و الاختلاف.

نتجه بعد هذه المقدمة القصيرة صوب عالم الأحاديث، لنتعرف علي مدي علاقة الرسول الكريم صلي الله عليه و آله بابنته فاطمة الزهراء عليها السلام ، و إلي أيِّ مقدارٍ كان يحبها؟

*10 - يُروي عن عائشة أنها قالت:

«ما رأيت أحداً أشبه كلاماً و حديثاً من فاطمة برسول اللّه صلي الله عليه و آله و كانت

إذا دخلت عليه رحب بها، و قام إليها، فأخذ بيدها فقبلها، و أجلسها في مجلسه». (1)

*11- و جاء في روايةٍ أخري.

«كان كثيراً ما يقبل عرف فاطمة». (2)

*12- و تنص رواية ثالثة علي:

«كان كثيراً ما يقبلها في فمها». (3)

*13- لقد كان الرسول صلي الله عليه و آله يظهر الكثير من محبته لفاطمة عليها السلام حتي أثار ذلك حفيظة عائشة، حيث قالت لرسول اللّه صلي الله عليه و آله .

«يا رسول اللّه ما لك إذا جاءت فاطمة قبلتها حتي تجعل لسانك في فيها كله كأنك تريد أن تطعمها عسلاً؟!

قال صلي الله عليه و آله : نعم يا عائشة، اني لما اسري بي الي السماء... و قصَّ عليها قصة ثمار الجنة التي تناولها». (4)

*14- و جاء في صحيح أبي داوود

«كان رسول اللّه صلي الله عليه و آله اذا سافر كان آخر عهده بانسانٍ من أهله فاطمة عليها السلام و أول من يدخل عليه اذا قدم فاطمة عليها السلام » (5)

كما نقل «أحمد بن حنبل» هذه الرواية في مسنده. (6)

لكن نعلم أن للحب و الحنان الواقعيين طرفان، فالحنان المطلق له2.

1- مستدرك الصحيحين، ج3، ص154.
2- كنز العمّال، ج7، ص111.
3- فيض الغدير، ص176.
4- تاريخ بغداد، ج5، ص87.
5- صحيح أبي داود، ج26، باب ما جاء في الانتفاع بالعاج.
6- مسند أحمد بن حنبل،ج6، ص282.

جانب سلبي، و يكون سطحياً عديم القيمة، و كما أسلفنا فان العشق الواقعي دليل علي التشابه، و عند ما يحصل التشابه ستتولد الجاذبية بين الطرفين.

لذا فان الروايات الاسلامية تعكس حقيقةً مهمة. ألا و هي أن العلاقة التي كانت تربط الرسول صلي الله عليه و آله بابنته فاطمة الزهراء عليها السلام كانت علاقة متبادلة و بنفس الشدة. و اليك شواهد ما أشرنا اليه:

*15- جاء في صحيح مسلم عن عبداللّه بن عمر بن محمد بن أبان الجعفي، بينما رسول اللّه، يصلي عند البيت و أبوجهل و أصحابه له جلوس و قد نحرت جزور بالأمس فقال أبوجهل: أيكم يقوم الي سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد اذا سجد، فانبعث أشقي القوم فأخذه فلما سجد النبي صلي الله عليه و آله وضعه بين كتفيه، قال فاستضحكوا و جعل بعضهم يميل الي بعضٍ و أنا قائم أنظر لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، و النبي صلي الله عليه و آله ساجد ما يرفع رأسه حتي انطلق انسان فأخبر فاطمة فجاءت و هي جويرية فطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تشتمهم فلما قضي النبي صلي الله عليه و آله صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم، و كان اذا دعا دعا ثلاثاً و اذا سأل سأل ثلاثاً ثم قال اللّهمَّ عليك بقريش ثلاث مرات فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك و خافوا دعوته ثم قال: اللّهمَّ عليك بأبي جهل بن هشام و عتبة بن ربيعة و شيبة بن ربيعة و الوليد بن عتبة و أمية بن خلف و عقبة بن أبي معيط. فوالذي بعث محمداً صلي الله عليه و آله بالحق لقد رأيت الذي سمي صرعي يوم بدر ثم سحبوا الي القليب قليب بدر» (1)».

1- صحيح مسلم «كتاب الجهاد و السّير» و صحيح البخاري «كتاب بدأ الخلق باب ما لقي النبيّ و أصحابه من المشركين».

نعم، لقد كانت الزهراء عليها السلام منذ صغرها خليطاً من «المحبة» و «الشجاعة»، و هي دائماً علي أهبة الاستعداد في الدفاع عن أبيها صلي الله عليه و آله .

*16- و نطالع أيضاً في نفس المصدر السابق عن أحداث غزوة أحد ما يأتي:

«قال سهل بن سعد: جرح وجه رسول اللّه صلي الله عليه و آله و كسرت رباعيته و هشمت البيضة علي رأسه فكانت فاطمة بنت رسول صلي الله عليه و آله اللّه تغسل الدم و كان عليٌّ بن أبي طالب يسكب عليها بالمجن فلما رأت فاطمة أن الماء لايزيد الدم الاّ كثرة، أخذت قطعة حصيرٍ فأحرقته حتي صار رماداً ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم». (1)

*17- نقل «أبو نعيم الاصفهاني» في «حلية الاولياء» عن عليّ بن محمد بن اسماعيل عن...عن أبي ثعلبة الخشني أنه قال: قدم رسول اللّه صلي الله عليه و آله من غزاةٍ له فدخل المسجد فصلي فيه ركعتين - و كان يعجبه اذا قدم أن يدخل المسجد فيصلي فيه ركعتين -ثم خرج فأتي فاطمة فبدأ بها قبل بيوت أزواجه فاستقبلته فاطمة عليها السلام و جعلت تقبل وجهه و عينيه و تبكي.

فقال لها رسول اللّه صلي الله عليه و آله : ما يبكيك؟ قالت: أراك قد شحب لونك. فقال لها: يا فاطمة، انّ اللّه عزّ و جلّ بعث أباك بأمرٍ لم يبقَ علي ظهر الارض بيت مدرٍ و لا شعر الا أدخله به عزاً أو ذُلاً يبلغ حيث بلغ الليل. (2)

*18- و روي فيما روي عن أحداث الخندق عن عليٍّ عليه السلام في حفر0.

1- صحيح مسلم «كتاب الجهاد و السير» و صحيح البخاري «كتاب بدأ الخلق باب ما لقي النّبيّ و أصحابه من المشركين».
2- حلية الاولياء ج2، ص30.

الخنـدق اذ جاءته فاطمة بكسـرةٍ من خبز فرفعتها اليه فقال ما هذه يا فاطمة، قالت: من قرصٍ اختبزته لابنيَّ جئتك منه بهذه الكسـرة. فقال: يا بنية أما أنها لاول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث. (1)

ما أعظم قوي الجذب التي تربط بين هذا الاب و ابنته؟

جاذبيـة متأصـلة في أعمـاق روحيهما، و محبـة قـد ارتشـفت من منبع وجود هما، و علاقـة عشقٍ تمخض عنها اتحاد روح الأب بروح ابنته الملكوت الأعلي.

فهل هناك أفضل من هذا الافتخار لفاطمة الزهراء عليها السلام ؟.

فخر و فضيلة لم تكن لأي أحدٍ عبر تأريخ الاسلام سوي لمعلمها علي ابن أبي طالب عليه السلام .7.

1- ذخائر العقبي، ص47.

قرب فاطمة عليها السلام من اللّه

نعلم أن الفناء هو أعلي مراتب القرب من اللّه سبحانه و تعالي.

«الفناء» يعني تجاهل و نسيان كل شيءٍ، و كل ذي نفس، بل و حتي الذات في مقابل الخالق الجبار. أي أن يصل المرء الي مرحلةٍ لا يري فيها الوجود الدنيوي الاّ سراباً، و لا يشاهد هذا العالم المخلوق الا كظلٍّ باهت زائل.

يري اللّه في كل مكان، و يبحث عنه في كلِّ مكان.

كالفراشة التي تدور حول شمعةٍ تحترق، يصهر ذاته في وجود اللّه، فلا يري قيمةً لكيانه في حضرة الاله.

يعد «التسليم المطلق» لا رادة اللّه«سبحانه و تعالي» و احداً من الآثار المرتبة علي وصول المرء لهذا المقام، فما يريده اللّه هو المراد، و ما يحبه هو الأصلح.

فرضاه من رضا اللّه، و رضا اللّه من رضاه.

و بهذه المعايير العرفانية نتوجه صوب المقام العرفاني لسيدة نساء العالمين و نتعرف علي مدي سمو منزلتها عند اللّه و نطلع علي الحقيقة التي أشار اليها رسول الاسلام الكريم صلي الله عليه و آله

19 – نصّت الكتب المعروفة لأهل السنة علي الكثير من الروايات التي

تشير الي أن الرسول صلي الله عليه و آله قال لا بنته فاطمة الزهراء عليها السلام :

«ان اللّه يغضب لغضبك و يرضي لرضاك». (1)

20 - ورد في «صحيح البخاري» الذي يعد من أشهر مصادر الحديث عند العامة أن الرسول «ص» قال:

«فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد أغضبني». (2)

21 - و نطالع في مكانٍ آخر من نفس المصدر هذا الحديث:

قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله .

«فانما هي فاطمة بضعة مني يريبني ما أرابها و يؤذيني ما آذاها». (3)

و كما أشرنا سابقاً فانَّ الأحاديث كثيرة في هذا المجال، و كلها تحكي عن المقام العالي لفاطمة الزهراء عليها السلام في معرفة الخالق و عن درجة عصمتها و إيمانها و إخلاصها. فقد سمت بمقامها إلي اللّه سبحانه و تعالي حتي صار رضاها و غضبها مرآةً لرضا اللّه و رسوله و سخطهما، و لا يمكن أن تعادل هذه الدرجة السامية بأي شيء.

22 - و ننهي بحثنا هذا بحديثٍ آخر ينقله لنا«صحيح الترمذي» فقد قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله :

«إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها و ينصبني ما نصبها». (4)

من البديهي أنه لا يمكن لظاهرة الحنان التي تربط الوالد بولده أن9.

1- مستدرك الصحيحين، ج 3، ص 153. كما نقل هذا الحديث «ابن حجر» في« الاصابة» و «ابن الأثير» في «أسد الغابة».

2- صحيح البخاري« كتاب بدأ الخلق» باب مناقب قرابة رسول اللّه.

3- صحيح البخاري «كتاب النّكاح» باب ذبّ الرّجل عن ابنته -ورد مضمون هذين الحديثين في كتبٍ معروفة مثل «خصائص النساني»، «فيض الغدير»، «كنز العمّال»، «مسند أحمد»، «صحيح أبي داوود» و «حلية الأولياء».

4- صحيح الترمذي، ج 2، ص 319.

تفسر هذا الأمر أن النبيّ«ص» رسول اللّه لا يريد إلاّ ما أراد اللّه، و أن رضا و سعادة فاطمة عليها السلام من رضا اللّه و رسوله ما هو إلاّ دليل علي صهر إرادتها فيما يريده اللّه و يرضاه.

لا بد من الإشارة هنا إلي نقطةٍ مهمة، و هي أن فسر البعض جملة «فاطمة بضعة مني» علي أنها جزء من جسد الرسول صلي الله عليه و آله في الوقت الـذي يـدل مفهوم الحديث علي أن فاطمة عليها السـلام جزء من كيان و وجود أبيها محمّد صـلي الله عليه و آله و من الناحيتين المادية و الروحية. و هذا ما ستشير إليه الروايات التي سنستعرضها إن شاء اللّه تعالي.

زهد فاطمة عليها السلام

«حب الدنيا رأس كل خطيئة».

بالاستناد إلي الحديث النبوي الشريف و إلي ما تمخضت عنه تجاربنا و مشاهداتنا في الحياة فإنَّ كلَّ التجاوزات، الجنايات، الأكاذيب، الخيانات، الظلم كانت نتيجة لحب «المال» و «الجاه» و «الشهوة»، هنا يتضح أن الزهد و الورع هما أساس التقوي و الطهارة و الصلاح.

و لكن يجب معرفة ماهية الزهد، فالزهد لا يعني ترك الدنيا و الرهبنة و الاعتزال عن المجتمع، بل أن حقيقة الزهد هي الحرية و عدم الوقوع في شراك الدنيا.

قالزاهد من لم يتعلق قلبه بالدنيا و ان كانت عنده فلو أحس يوماً بأن رضا اللّه سبحانه و تعالي منوط بتركه لما في يديه كان مستعداً لهذا العمل، و يقول من أعماقه:

يا ليت بيني و بينك عامر و بيني و بين العالمين خراب. و إذا استدعي الحفاظ علي الحرية و الشرف و الإيمان أن يضحي بحياته و روحه و ماله لم يتوان في ذلك و يصرخ من أعماقه هيهات منا الذلة.

و علي حد قول القرآن الكريم في تعريفه للزاهد:

ي لكيلا تأسوا علي ما فاتكمو لا تفرحوا بما آتاكم ي (1)

بعـد هذه المقدمة القصـيرة نتوجه إلي أحاديث رسول اللّه صـلي الله عليه و آله و نتعرّف من خلالها علي وجهة نظره بشأن بشخصـية فاطمة عليها السلام .

23- نقل«ابن حجر» و آخرون في روايةٍ عن الرسول صلي الله عليه و آله :

«أخرج أحمد و غيره ما حاصـله أنه صـلي الله عليه و آله كان إذا قدم من سفر أتي فاطمة و أطال المكث عندها ففي مرة صنعت لها مسكين من ورق و قلادة و قرطين و ستر باب بيتها فقـدم صـلي الله عليه و آله و دخل عليها ثم خرج و قـد عرف الغضب في وجهه حتي جلس علي المنبر فظنت أنه إنّما فعل ذلك لما رأي ما صنعته فأرسلت به إليه ليجعله في سبيل اللّه، فقال فعلت فداها أبوها ثلاث مرات، ليست الدنيا من محمدٍ و لا من آل محمدٍ و لو كانت الدنيا تعدل عند اللّه في الخير جناح بعوضة ما سـقي منها كافراً شربة ماء، ثم قال فدخل صلي الله عليه و آله عليها». (2)

من الواضح أن يكون ثمن السوارين و القرطين الفضيين و العقد الفضي زهيداً، و الأزهد ثمناً منها ذلك الستار الذي يعلقه الإنسان علي باب الغرفـة، غير أن الرسول «ص» كـان يعتبر أن ذلـك ليس من شـأن فـاطمه عليها السـلام ، بل يري أن فضـيلتها و كرامتها تكمن في خصالها الإنسانية.

تعلمت فاطمة عليها السلام هذا الدرس من أبيها مباشرةٍ، حيث رمت بالدنيا و زخرفها جانباً محرّرة نفسها من ذلك الأسر من ناحية و أنفقت ما في يدها في سبيل اللّه من ناحيةٍ أخري.9.

1- سورة الحديد، آية 23.

2- الصواعق المحرفة، ص 109.

لقد عرفنا من خلال الحديث الذي سبق ذكره -برقم 3- نقلاً عن كتاب «حليد الأولياء» لم تكن تملك الحجاب الكافي عند مجيء الرسول صلي الله عليه و آله و أصحابه لعيادتها، مما حدا به صلي الله عليه و آله أن يناولها عباؤته لتستر نفسها و تستعد للضيوف الذين جاؤوا لعيادتها.

إنّ جهاز فاطمة عليها السلام و مراسم الزفاف التي جرت بمنتهي البساطة، و تفانيها في القيام علي شؤون بيتها، حيث تحضن طفلها في إحدي يديها و في الأخري تطحن الشعير لتهيء لهم الخبز، كل ذلك شواهد صادقة علي زهدها العالي و إيمانها الصادق. و يشير الحديث التالي إلي هذا المعني:

*24- نقل أبو نعيم الأصفهاني في «حلية الأولياء»:

«لقد طحنت فاطمة بنت رسول اللّه صلي الله عليه و آله حتي مجلت يدها و ربا، و أثر قطب الرحي في يدها» (1).

*25- نقل في «مسند أحمد» و هو أحد أشهر مصادر أهل السنة عن «أنس بن مالك» أنه قال:

إن بلالاً بطأ عن صلاة الصبح فقال له النبي صلي الله عليه و آله ما حبسك فقال:

مررت بفاطمة و هي تطحن و الصبي يبكي فقلت لها إن شئت كفيتك الرحا و كفيتيني الصبي و إن شئت كفيتك الصبيَّ و كفيتيني الرحا فقالت أنا أرفق بابني منك. فذاك حبسني. فقال رسول اللّه صلي الله عليه و آله :

«فرحمتها يرحمك اللّه». (2)

من الفضائل الأخلاقية التي تتحلي بها سيدة النساء هي الشجاعة و الشهامة في دفاعها من أبيها الرسول الكريم صلي الله عليه و آله ضد مشركي مكة، كما أن0

1- حلية الأولياء، ج2، ص41.

2- مسند أحمد، ج3، ص150.

مجيئها الي ميدان أُحُدٍ و تضـميدها جراح الرسول صـلي الله عليه و آله لم يكن ليخف عن أي أحد، و هذا ما أثبتته الأحاديث التي ذكرناها آنفاً.

لقد سارت علي طريق العبودية و عبادة اللّه منذ ولادتها، و هي علي هذا الحال إلي أن فارقت روحها الحياة. و الحديث الآتي يدل علي هذا المعني.

*26- جاء في «ذخائر العقبي» ما جاء في قصة ولادة فاطمة الزهراء عليه السـلام و انعقاد نطفتها من ثمار الجنة و حضور النساء الأربع عند ولادتها:«فولدت فاطمة عليها السلام فوقعت حين وقعت علي الأرض ساجدة». (1)

*27- و نطالع في نفس المصدر روايةً تدلُّ علي سموها و عفتها، حيث تنقل «أسماء بنت عميس» هذه القصة العجيبة:

قالت فاطمة عليها السلام لأسماء بنت عميس يا أسماء إني استقبحت ما يصنع بالنساء إنه يطرح علي المرأة الثوب فيصفها و قالت أسماء: يا ابنـة رسول اللّه ألا أريك شـيئاً رأيته بأرض الحبشة، فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة عليها السـلام ما أحسـن هذا و أجمله، تعرف به المرأة من الرجل فإذا أنا مت فاغسليني أنتِ و علي و لا يدخل عليَّ أحد.

و جاء في نهاية هذا الحديث.

إن فاطمة عليها السلام لما رأت النعش تبسمت و ما رُؤيت مبتسمةً بعد النبي صلي الله عليه و آله قط. (2)4.

1- ذخائر، العقبي، ص44.

2- ذخائر العقبي،ص54.

المكانة العلميّة لفاطمة عليها السلام

إنّ حب أولياء اللّه لشخصٍ دون الاخر ليس حبّاً عاديّاً، فلا بد أن يكون قائماً علي أسس مهمةٍ منها العلم و الإيمان و التقوي. و ما علاقة الرسول الكريم صلي الله عليه و آله القوية بابنته فاطمة الزهراء عليها السلام إلاّ دليل علي تمتعها بتلك الصفات الفاضلة. إضافةً إلي ذلك، و عند ما يقول عليه السلام : «فاطمة أفضل نساء العالمين» أو «أفضل نساء الجنة» و التي ذكرنا أسانيدها من قبل، فإنّ هذا بحدِّ ذاته دليل علي أنّها أعلم نساء العالمين.

و بعد ذلك هل يمكن لشخص لم يصل إلي مقام رفيعٍ في العلم و المعرفة أن يكون رضاه من رضا اللّه، و غضبه من غضب الخالق و رسوله؟ كما تبين لنا ذلك في الروايات السابقة.

علاوةً علي ذلك فقد وردت في المصادر الأسلامية المعروفية روايات مهمةٌ تكشف عن المقام العلمي الرفيع لهذه السيدة العظمية.

*28- نقل «أبو نعيم الأصفهاني عن رسول اللّه صلي الله عليه و آله أنه قال يوماً لأصحابه ما خير النساء؟

فلم يدرِ الحاضرون ما يقولون، فسار عليَّ عليه السلام إلي فاطمة فأخبرها بذلك.

فقالت: فهلاّ قلت له خير لهنَّ ألا يرين الرجال و لا يرونهن. فرجع علي عليه السلام فأخبره بذلك.

ص: 61

فقال رسول اللّه صلي الله عليه و آله من علمك هذا؟ قال: فاطمة عليها السلام فقال رسول اللّه صلي الله عليه و آله إنّها بضعة مني. (1)

يظهر من هذا الحديث أن أمير المؤمنين علي عليه السلام رغم ما كان يتمتع به من مقام عظيمٍ في العلوم و المعارف الذي اعترف به الصديق و العدو و أنّه باب مدينة علم الرسول الأكرم صلي الله عليه و آله إلاّ أنه كان يستفيد أحياناً من علم زوجته فاطمة الزهراء عليها السلام .

إنّ ما ذكر في نهاية هذه الرواية من أن رسول اللّه صلي الله عليه و آله قال «فاطمة بضعة مني» إنما يشير إلي حقيقةٍ مهمة و هي أن القصد من «بضعة» لا ـ يقتصر علي كونها جزء من بدنه فقط كما فسره البعض، بل هي جزء من روح الرسول صلي الله عليه و آله و إيمانه و علمه و فضله و أخلاقه، فهي شعاع من تلك الشمس و قبس من تلك المشكاة.

*29 – جاء في «مسند أحمد» عن «أم سلمة» –أو طبقا لرواية أم سلمي –أنّها قالت:

اشتكت فاطمة شكواها التي قبضت فيه فكنت أمرضها فأصبحت يوماً كأمثل ما رأيتها في شكواها تلك قالت و خرج عليٌّ لبعض حاجته فقالت يا أمَه اسكبي لي غسلاً فسكبت لها غسلاً فاغستلت كأحسن ما رأيتها تغتسل، ثم قالت يا أمَه أعطيني ثيابي الجدد فأعطيتها فلبستها ثم قالت يا أمَه قدّمي لي فراشي وسط البيت ففعلت و اضطجعت و استقبلت القبلة و جعلت يدها تحت خدها ثم قالت يا أمه إني مقبوضة الان و قد تطهرت فلا يكشفني أحد فقبضت مكانها قالت فجاء عليٌّ فأخبرته. (2)ة.

1- حلية الاولياء، ج2 ص 40.

2- مسند أحمد، ج6، ص461 و أورد هذا الحديث «ابن الاثير» «في أسد الغابة» كما رواه جمع آخر من المحدثين و الرّواة.

نستدل من هذه الرواية أن فاطمة الزهراء عليها السلام كانت تعلم بوقت وفاتها، حيث استعدت للرحيل دون أن تظهر عليها علاماته، و لما كان الإنسان لا يعلم بحلول أجله إلاّ بعلمٍ إلهي، لذا فإنّ اللّه سبحانه و تعالي كان يلهم فاطمة عليها السلام . نعم، فقد ارتبطت روحها بعالم الغيب، و حدثتها ملائكة السماء.

و طبقاً لما جاءت به الروايات فإنّها أفضل من مريم بنت عمران «أم عيس عليه السلام »، و في هذا الكفاية، إضافةً إلي تصريح القرآن المجيد في أن الملائكة قد تحدثت إلي مريم و هي قد حدثتها –ذكرت ذلك آيات من سورة آل عمران و سورة مريم –

لذا فمن الأولي أن تكون فاطمة عليها السلام و هي ابنة رسول اللّه صلي الله عليه و آله محدثة من ملائكة السماء. (1).

1– يوجد في الروايات التي روتها الشيعة الوفير من الدلائل التي علي سعة علمها و معرفتها، و قد ذكرنا قسماً منها في الفصول التي تحدثنا بها عن حياتها.

كرامات فاطمة عليها السلام

عنـدما تقوي روح الانسان، و تمتليء بالصـفات الالهية، و ينال منزلة القرب من اللّه، فإن إرادته (بمشـيئة اللّه) سـتؤثر في العالم التكويني و سيحدث له ما يريد. و هذه هي الولاية التكوينية التي تمتع بها أولياء اللّه، و هي منبع كراماتهم المختلفة التي تميز الأنبياء صـلي الله عليه و آله بأعلي مراتبها و هي المعجزات.

و لقد حبي اللّه فاطمة الزهراء عليها السلام بمقدارٍ كبيرٍ من تلك العناية الإلهية.

و هذا ما تدلُّ عليه الرواية التالية:

*30- نقل كثير من مفسري العامة و منهم «الزمخشري» في «الكشاف» و «السيوطي» في «الدرّ المنثور» في أسفل الاية الشريفة:

«كُلما دَخَل علَيْها زَكرِيّا المِحْرابَ وَجـدَ عِندَها رزْقاً قال أنّي لَكِ هذا قالت هُوَ مِن عندِ اللّه إنّ اللّه يرزقُ مَن يَشاء بغير حسابْ» عن جابر بن عبداللّه الأنصاري أنّه قال:

أقام رسول اللّه صـلي الله عليه و آله أيّاماً لم يطعم طعاماً حتي شقَّ ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه فلم يجـد عند واحدةٍ منهنَّ شـيئاً فأتي فاطمة عليها السـلام فقال يا بُنية هل عندك شـيء آكله فإني جائع فقالت لا و اللّه فلما خرج من عندها بعثت إليها جارةٌ لها برغيفين و قطعة فأخذته منها فوضعته في جفنة لها

و قالت و اللّه لأوثرن بهذا رسول اللّه صلي الله عليه و آله علي نفسي و من عندي و كانوا جميعاً محتاجين إلي شبعة طعام فبعثت حسناً إلي رسول اللّه صـلي الله عليه و آله فرجع إليها فقالت له بأبي أنت و أمي قد أتي اللّه بشـيءٍ قد خبأته لك فقال هلمي يا بنية بالجفنة فكشفت عن الجفنة فإذا هي مملوءة خبزاً و لحماً فلما نظرت إليها بهتت و عرفت أنها بركة من اللّه فحمدت اللّه تعالي و قدمته إلي النبي صلي الله عليه و آله فلما رآه حمـد اللّه و قال من أين لك هـذا يا بنية قالت ياأبت هو من عند اللّه إنّ اللّه يرزق من يشاء بغير حسابٍ فحمد اللّه ثم قال الحمد للّه الذي جعلك شبيهة سـيدة نساء بني إسـرائيل فإنها كانت إذا رزقها اللّه رزقاً فسـئلت عنه قالت هو من عند اللّه إنّ اللّه يرزق من يشاء بغير حساب.

ثم جمع رسول اللّه صـلي الله عليه و آله علي بن أبي طالب عليه السـلام و الحسن و الحسين عليه السلام و جميع أهل بيته فأكلوا منه حتي شبعوا و بقي الطعام كما هو، فأوسعت فاطمة عليها السلام علي جيرآنها (1)3.

1- نقله الزمخشري في الكشاف في ذيل آية 37 من سورة آل عمران و كذلك السيوطي في الدر المنثور، و الثعلبي في قصص الأنبياء، ص - 513.

أول من يرد الجنة

إنّ سعادة المرء الواقعية تكمن في دخوله الجنة، حيث الرحمة الالهية الواسعة، و أفضل الناس من سبق إليها.

و قد ثبت من خلال رويات أهل السـنّة المعروفة أنّ الرسول صـلي الله عليه و آله نسب هذه المتقية إلي فاطمة الزهراء عليها السـلام و لعدة مرّات.

*31- جاء في «ميزان الاعتدال» للذهبي نقلاً عن الرسول الكريم صلي الله عليه و آله :

«أوّل شخصٍ يدخل الجنة فاطمة عليها السلام . (1)

*32- و نقل عنه صلي الله عليه و آله في حديثٍ آخرٍ أنّه قال:

«أوّل شخصٍ يدخل الجنة فاطمة بنت محمّد صلي الله عليه و آله و مثلها في هذه الأمة مثل مريمٍ في بني إسرائيل». (2)

و بغض النظر عما سـبق نسـتدل من الروايات الإسـلامية المعروفية علي أن ورودها إلي ساحة المحشر، و منها إلي الجنة سيكون مصحوباً بمراسم و تشريفاتٍ غاية في العظمة مما يدل علي سمو منزلتها و عظم مقامها.

*33- نقل عليّ بن أبي طالب عن رسول اللّه صلي الله عليه و آله أنه قال:

«تحشر ابنتي فاطمة يوم القيامة و عليها حلة الكرامة قد عجنت بماء

1- ميزان الاعتدال، ج2، ص131.

2- كنز العمّال،ج6،ص219.

الحيوان، فتنظر إليها الخلائق فيتعجبون منها».

و يضيف صلي الله عليه و آله في آخر الحديث:

«فتزف إلي الجنة كالعروس لها سبعون ألف جاريةٍ» (1)

*34 – و تروي عائشة حديثاً آخر عن الرسول الكريم صلي الله عليه و آله :

«إذا كان يوم القيامة نادي منادٍ يا معشر الخلائق طأطؤا رؤسكم حتي تجوز فاطمة بنت محمّد». (2)

*35– و نقرأ في حديثٍ آخر يشير إلي نفس المعني:

«فتمرمع سبعين ألف جاريةٍ من الحورالعين كمِّر البراق». (3)

*36– و الأعجب من ذلك ما نقله كتاب «تأريخ بغداد» عن الرسول الكريم صلي الله عليه و آله أنه قال:

عند ما عرج بي إلي السماء في تلك الليلة رأيت باب الجنة و قد كتب عليها:

«لا إله إلّه، محمّد رسول اللّه، علي حبيب اللّه، و الحسن و الحسين صفوة اللّه و فاطمة خيرة اللّه، علي باغضهم لعنة اللّه». (4)9.

1– ذخائر العقبي، ص48.

2– تاريخ بغداد،ج8، ص141.

3– كنز العمّال، ج6،ص218.

4– تاريخ بغداد، ج1، ص259.

معاني أسماء فاطمة عليها السلام

تكشف الأسـماء عادةً عن ماهية المسـمي، خصوصاً إذا كان واضح الاسم حكيماً، و نستشف من مجموع الأحاديث أن تسمية هذه السيدة الجليلة كانت بواسطة حكيم الحكماء المطلق ألا و هو ربُّ العالمين «جلّ و علا».

و من ناحيـةٍ أخري فإن فاطمة علي وزن «فطم» (علي وزن فعل) و هو بمعني انقطاع الطفل عن الرضاعة، ثم أطلق علي كلِّ ما يحمل معني الانفصال.

و الآن لنتعرف علي ما جاء في الروايات الاسلامية؟

*37- رُوي عن الرسول صلي الله عليه و آله أنه قال:

«إنما سماها فاطمة لأنَّ اللّه فطمها و محبيها من النار». (1)

يستفاد من هذا التعبير أن تسيمة هذه السيدة الجلية بهذا الاسم إنما كان من قبل اللّه سبحانه و تعالي، و معناه أنه وعد فاطمة عليها السلام و محبيها و المنتهجين نهجها أن لا تمسهم النار.

*38- نقرأ في «ذخائر العقبي» عن علي عليه السـلام أن الرسول صـلي الله عليه و آله قال لفاطمة عليها السـلام يا فاطمة أتدرين لم سُمِّيت فاطمة؟

1- تاريخ بغداد، ج2، ص331.

فقال علي عليه السلام : لم سُمِّيت فاطمة يا رسول اللّه؟

فقال رسول اللّه:

«إنّ اللّه عزّ و جل قد فطمها و ذريتها عن النار يوم القيامة». (1)

من البـديهي أن القصد من «ذرية» هم الذين يسـيرون علي نهج هذه الأم العظيمة، و ليس كمثل ابن نوح حيث جاء الخطاب:«إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح».

و لهـذا نري أن بعض الأحاديث قـد جمعت بين كلمتي «ذريـة» و «محبي» في آنٍ واحد، و من كان يظن منا أن معني الروايات الأخيرة هو نجاة العاصي منهم و حتي الكافر المشرك من العذاب الالهي لمحبته لفاطمة الزهراء عليها السلام ، فهو علي خطأ لأن ذلك لا يتفق مع أيٍّ من المعايير الاسلامية، إضافةً إلي أن الرسول صلي الله عليه و آله و هو أصل هذه الشجرة الطيبة قد خوطب في القرآن المجيد بهذه الصورة في الاية الشريفة:

ي لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ي (2)

و صرحت آية أخري:

ي وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنكُم مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (3)ي

فهل يمكن للفرع أن يعلو علي الأصل؟ و هل أنَّ أبناء رسول اللّه أفضل منه؟!

ممّا لا شك فيه أن الرسول صلي الله عليه و آله لم يطرأ علي تفكيره الشرك باللّه أبداً،7.

1- ذخائر العقبي، ص26.

2- سورة الزمر، آية 65.

3- سورة الحاقّة، آية 44-47.

و لم(و العياذ باللّه) يكـذب علي اللّه، لكن هـذه الآيات تضـمر في محتواها درساً كبيراً للأمة الإسـلامية، حتي يعلم الجميع أن نجاة المرء مقرونة بإخلاصه للّه. و هذا لا يتنافي مع المقام السامي و الدرجة الرفيعة لأئمة الأمة الإسلامية و ساداتها.

من المتعـارف عنـد العرب أن يُكنّي الرجـل ب«أب» و تُكنّي المرأة ب«أم»، هـذا بالإضافـة إلي أسـمائهم. و من بين الكني التي كُنيت بها فاطمة الزهراء عليها السلام تبرزكنيةً عجيبةً تدل علي عظمة الزهراء عليها السلام ، كما في الرواية التالية:

39- ورد في كتاب «أسد الغابة»:

«كانت فاطمة تُكنّي أم أبيها». (1)

و ورد نفس المعني في كتاب« الاستيعاب» نقلاً عن الإمام الصادق عليه السلام : (2)

«لم يُرَ لهـذا التعبير العجيب نظيراً في أيٍّ من نساء الإسـلام، و هو يـدل علي أنَّ هـذه البنت الوفيـة كانت تقوم بدور الأم في رعايتها لأبيها و السهر عليه.»

نعلم أنّ الرسول الكريم صـلي الله عليه و آله فقد أمه و هو في مرحلة الطفولة، لكن ابنته هذه لم تُقصر في محبتها و حنانها و قلقها عليه رغم صغر سنها.

فهي بنت مضحية و فدائية من ناحية، و هي أم مؤثرة حنونة من ناحيةٍ أخري، و مواسية و فية من ناحيةٍ ثالثة، و قد شهدت بذلك الروايات التي ذكرناها.2.

1- أسد الغابة، ج 5، ص 520.

2- الاستيعاب، ج 2، ص 752.

هدية الرسول صلي الله عليه و آله لفاطمة عليها السلام

اشارة

ص: 71

سجلت صفحات التأريخ بعضاً من الهدايا المعنوية التي منحها الرسول الكريم صلي الله عليه و آله لابنته فاطمه عليها السلام و التي فاقت كل واحدةٍ منها الأخري، لا سيما تسبيحة الزهراء، هذا بالإضافة إلي هديةٍ ماديةٍ معنوية منحها صلي الله عليه و آله لفاطمة عليها السلام بأمرٍ إلهي، كما نصّ علي ذلك متن الرواية التالية:

40 - جاء في الدر المنثور «للسيوطي» عن البزاز و أبي يعلي و ابن حاتم و ابن مردويه عن سعيد الخدري أنه قال:

«لما نزلت الآية «وآت ذا القربي حقه (1)» دعا رسول اللّه صلي الله عليه و آله فاطمة الزهراء عليها السلام و أعطاها فدكاً». (2)

و بالطبع (كما سيأتي شرحه في فصل -أحداث فدك المؤلمة-) فإن منح فدك لفاطمة عليها السلام لم تكن مسألةً أو هديةً عادية، بل كانت سنداً و دعامةً لو لاية علي بن أبي طالب عليه السلام و عاملاً في تقوية و تثبيت مقام هذه العائلة الكريمة، و من هذا المنطلق فهي تعدُّ هديةً معنوية.

و لكنَّ النظام الذي أدرك معني هذه الهدية جيداً، سارع بعد رحيل الرسول صلي الله عليه و آله إلي انتزاعها من فاطمة الزهراء عليها السلام و ضمها إلي بيت المال مستنداً في ذلك إلي حديثٍ موضوع و حجةٍ باطلة. و هذه قصة طويلةٍ8.

1- سورة الإسراء، آية 26.

2- الدُرّ المنثور في ذيل آية 26 من سورة الإسراء، و ميزان الاعتدال، ج 2، ص 288، و كنز العمّال، ج 2، ص 158.

مملوءةٍ بالعبر و الاحـداث المؤلمـة و الظالمة، و التي يمكن اعتبارها سـنداً إسـلامياً مهماً في تحليل تأريخ صدر الاسـلام و الحوادث التي أعقبت رحيل النبي صلي الله عليه و آله . و نوكل الحديث إلي محله.

«إلهي»! أحينا ما أحييتنا علي محبة و موالاة هذه السيدة و أبيها و بعلها و بنيها -صلوات اللّه عليهم -و احشرنا في زمرتهم.

«يا رب» وفقنا في اتباع نهجهم، و الاهتداء بنور هدايتهم، و الاقتداء بسنتهم.

«و اجعلنا ممن يأخذ بحجزتهم، و يمكث في ظلهم، و يهتدي بهداهم».

«آمين يا رب العالمين»

ص: 74

أحداث فدك المؤلمة

اشارة

تعـد قصـة «فدك» من أغمِّ القصـص التي مرت بحياة فاطمة الزهراء عليها السـلام خصوصاً، و أهل البيت عموماً، و تأريخ الإسـلام بشـكلٍ أوسعٍ و أعم، و التي حيكت أحداثها مع المؤامرات السياسية الوضعية، كما أنها منفذ لحل بعضٍ من ألغاز تأريخ صدر الإسلام.

فدك ؛ ماذا كانت و أين كانت؟

ذكر كثير من المؤرخين و أرباب اللغة بأن «فدك» قرية بالحجاز -قريبة من خيبر -بينها و بين المدينة يومان، و قيل ثلاثة،(و كتب البعض أنها تبعد عن المدينة بمسافةٍ مقدارها 140 كيلومتر) أفاءها اللّه علي رسوله صـلي الله عليه و آله ، و فيها عين فوارة و نخل كثير، (1) و تعد مركزاً مهماً لليهود في أرض الحجاز بعد خيبر.

و في كيفية انتقال هذه الأرض الخضـراء المعمورة لرسول اللّه صلي الله عليه و آله ، فالمعروف هو أن الانتصار الذي حققه رسول اللّه صلي الله عليه و آله في فتـح حصون خيبر أرعب أهـل فـدك المتعصبين، فأرسـلوا إلي رسول اللّه صـلي الله عليه و آله أن يصالحهم علي نصـف «فدك»، فقبل الرسول صلي الله عليه و آله ذلك منهم و أمضي ذلك الصلح، و

1- معجم البدان، مادة فدك.

بهذا فهي ممالم يوجف عليه بخيلٍ و لا ركاب.

و بما أن القرآن ينص علي ي وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَي رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ وَلكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَي كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ (1)« مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَي رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَي فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَي وَالْيَتَامَي وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ي (2) لذا فهي خالصةً لرسول اللّه صلي الله عليه و آله ، يصرف ما يأتيه منها في «أبناء السبيل» و أمثال ذلك.

نقل هذا الحديث كل من ياقوت الحموي في «معجم البلدان» و ابن منظور الأندلسي» في «لسان العرب» و آخرون كثيرون.

و أشار إلي ذلك أيضاً«الطبري» في تأريخه و «ابن الأثير» في كتاب «الكامل». (3) كما كتب الكثير من المؤرخين أن الرسول صلي الله عليه و آله قد منح ابنته الزهراء عليها السلام فدكاً في حياته. (4)

الدليل البين الذي يثبت هذه الحقيقة هو ما نقله المفسرون الكبار، منهم مفسر أهل السنة المعروف«جلال الدين السيوطي» في كتاب «الدر المنثور»، حيث نقل في ذيل الآية السادسة عشرة من سورة الإسراء حديثاً عن«أبي سعيد الخدري» يقول فيه:

«لما نزل قوله تعالي –و آتِ ذا القربي حقه أعطي رسول اللّه صلي الله عليه و آله فاطمة فدكاً». (5).

1- سورة الحشر، آية 6.

2- سورة الحشر، آية 7.

3- راجع كتاب «فدك» القيّم للسيد محمّد القزويني الحائري.

4- لأنّها كانت ملكاً لرسول اللّه صلي الله عليه و آله .

5- الدُرّ المنثور، مجلد 4، ص 177. و كان مِمّن روي هذا الحديث من رواة العامّة هم «البزّاز» و «أبو يعلي» و «ابن مردويه» و «ابن أبي حاتم» عن أبي سعيد الخدري، (راجع كتاب الاعتدال، ج 2، ص 288 و كنز العمّال، ج 2، ص 158).

الـدليل الحي الآخر الذي يعتبر سـنداً مهماً في هذا الأمر -أو لهذا الادعاء- هو قول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السـلام في نهج البلاغه:

«بلي كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء، فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قومٍ آخرين، و نعم الحكم اللّه». (1)

يشـير هـذا الحـديث بوضوحٍ إلي أن فـدكاً كانت بيد عليٍّ و فاطمة عليها السـلام في حياة الرسول صـلي الله عليه و آله ، لكن بعض الحكام البخلاء تعلقوا بها، فتخلي عليّ و زوجته عليها السلام عنها مجبرين. و من البديهي أنهم لم يكونوا موافقين لما حدث، و إلا فما معني سؤال و طلب الأمير عليه السلام من اللّه سبحانه و تعالي في أن يحكم بينه و بينهم.

نقل الكثير من علماء الشيعة أيضاً في كتبهم المعتبرة روايات تتعلق بهذه المسألة منهم: المرحوم الكليني «الكافي» و المرحوم«الصدوق» و المرحوم« محمّد ابن مسعود العياشي» في تفسيره، و «علي ابن عيسي الأربلي» في «كشف الغمة»، و آخرون في كتب الحديث و التأريخ و التفسير، لا يسع المقام لذكر هم.

الآن... لنري لماذا و بأيِّ دليل انتزعت الزهراء عليها السلام فدكها؟.).

1- نهج البلاغة، (رسالة 45 رسالته إلي «عثمان بن حنيف»).

1 -العوامل السياسية في غصب فدك

لم تكن مسألة انتزاع«فدك» من الزهراء عليها السلام مسألة عادية لا تحمل إلاّ الجانب المادي فحسب، بل إن جانبها الاقتصادي قد انصبَّ في قالب المسائل السياسية التي حكمت المجتمع الإسلامي بعد وفاة النبي صلي الله عليه و آله ، و في الحقيقة لا يمكن فصل مسألة «فدك» عن سائر أحداث ذلك العصر، و إنما هي حلقة من سلسلةٍ كبيرة، و ظاهرةٍ من وقائعٍ شاملةٍ و واسعة!

إنَّ لهذا الغصب التأريخي الكبير عواملاً نوردها في النقاط التالية:

1- يعتبر وجود«فدك» في حيازة آل بيت النبوة عليه السلام ميزةً كبيرة لهم، و هذا بحد ذاته دليل علي علوِّ مقامهم عند اللّه و قربهم الشديد من الرسول صلي الله عليه و آله ، خصوصاً ما نقلته كتب الشيعة و السنّة في الروايات التي ذكرناها آنفاً من أن الرسول صلي الله عليه و آله استدعي فاطمة عليها السلام بعد نزول الآية«و آتِ ذا القربي» و أعطاها فدكاً.

من الواضح أن وجود«فدك» في حيازة آل بيت محمّد صلي الله عليه و آله منذ البداية يكون مدعاةً لالتفاف الناس حولهم و البحث عن سائر آثار النبيِّ الكريم صلي الله عليه و آله في هذه العائلة خصوصاً مسألة الخلافة، و هذا الأمر لم يكن ليتحمله مؤيدو إنتقال الخلافة إلي الآخرين.

2- كانت هذه المسألة مهمة في بعدها الاقتصادي، كما هو أثرها

الفعال في بعدها السياسي، لأن وقوع أمير المؤمنين عليه السلام و آله في مضيقةٍ اقتصادية يؤدي إلي تدهور وضعهم السياسي بنفس النسبة. بعبارةٍ أخري فإنَّ حيازتهم علي فدك يوفر لهم امتيازات تكون بمثابة المتكأ الذي تستند عليه مسألة الولاية كما فعلت أموال خديجة عليها السلام في انتشار الإسلام في بدء دعوة نبي الإسلام صلي الله عليه و آله .

من المتعارف عليه في جميع أنجاء العالم أنه إذا أريد طمس شخصيةٍ كبيرة، أو تقييد دولةٍ ما لتعيش حالة الانزواء فإنه يُعمل علي محاصرتها اقتصادياً، و قد نصَّ تأريخ الإسلام في قصة «شعب أبي طالب» عندما حوصر المسلمون من قبل المشركين حصاراً اقتصادياً شديداً.

في تفسير سورة المنافقين، و في ذيل الآية ي لَئِنْ رَجَعْنا إلي الَمدينةِ لَيُخرجَنَّ الأَعَزُّ مِنْها الأَذَلَّ ي (1)أُشير إلي مؤامرةٍ شبيهةٍ بهذه المؤامرة قد حاكها المنافقون، لكنَّ اللطف الإلهي أخمد نارها و هي في المهد، لذا فليس من العجب في شيءٍ أن يسعي المخالفون إلي انتزاع هذه الثروة من آل بيت النبي الكريم صلي الله عليه و آله ، و إخلاء أيديهم و دفعهم بعيداً عن الساحة.

3- و إن هم و افقوا علي أن فدك ميراث النبي صلي الله عليه و آله أو هديته لا بنته فاطمة الزهراء عليها السلام و بالتالي تسليمها إليها فإن ذلك سيفتح الطريق لها في المطالبة بمسألة الخلافة. هذه النقطة يطرحها العالم السني المشهور «ابن أبي الحديد المعتزلي» في شرح«نهج البلاغة» بصورةٍ ظريفةٍ حيث يقول:

«سألت علي بن الفارقي مدرس المدرسة الغربية ببغداد، فقلت له:

أكانت فاطمة صادقة؟

قال: نعم، قلت: فلم لم يدفع إليها أبوبكر فدك و هي عنده صادقة؟1.

1- سورة المنافقين، آية 1.

فتبسم، ثم قـال كلاماً لطيفاً مستحسـناً مع ناموسه و حرمته وقلّـة دعابته، قال: لو أعطاها اليوم فـدك بمجرد دعواها لجاءت إليه غـداً و ادعت لزوجها الخلافـة، و زحزحته عن مقامه، و لـم يكن يمكنه الاعتـذار و المدافعة بشـيء، لأنه يكون قد سـجل علي نفسه أنها صادقة فيما تدعيه كائناً ما كان من غير حاجةٍ إلي بيِّنةٍ و لا شهود» و بعدها يضيف «ابن أبي الحديد» قائلاً:

«و هذا كلام صحيح، و إن كان أخرجه مخرج الدعابة و الهزل». (1)

إنَّ هذا الاعتراف الصريح الذي أدلي به اثنان من علماء أهل السنة، لشاهد حيّ علي أنّ لقصة فدك جانباً سياسياً هاماً.

ولكي يتضح هذا المعني سـنقف في البحث التالي علي مصـير هذه القرية عبر تأريخ الإسـلام منذ قرونه الأولي، و كيف أنها انتقلت من يدٍ إلي أخري و كيف تباينت آراء الخلفاء بخصوصها.8.

1- شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، ج 4، ص 78.

2 - فدك عبر العصور

كيف عادت فدك لأهل البيت عليهم السلام

يعد مسير فدك التأريخ من عجائب التأريخ الإسلامي فقد كان لكل من الخلفاء عبر العصور موقفاً خاصاً منها، فمنهم من قبضها و منهم من ردّها إلي أصحابها، و طال الأمد بها علي هذا الحال إلي أن صبخت الأرض و ضاع منها نعيمها. و للتعرف علي فصول النزاع الذي مرت به هذه القرية العامرة يكفينا الوقوف علي النقاط التالية:

1- إنتقلت «فدك» كما نعلم إلي الرسول صلي الله عليه و آله بعد سقوط خيبر لأنه قبل الصلح مع اليهود. و طبقاً لآية الشريفة «وَ مَا أَفَاءَ اللّه عَلَي رَسُولِه...» فقد صارت كلها ملكاً شخصياً مختصاً برسول اللّه صلي الله عليه و آله .

2- طبقاً للوثائق التأريخية المعتبرة فإنّ الرسول صلي الله عليه و آله منح و بأمرٍ إلهي فدكاً إلي فاطمة الزهراء عليها السلام في حياته، و ذلك عند ما نزلت الاية الشريفة «و آتِ ذا القربي حقه». بهذه الصورة أصبحت في حيازة ابنة الرسول الكريم صلي الله عليه و آله .

3- اغتصبت هذه المعمورة في زمن الخليفة الأول، و ضُمَّت إلي أموال الدولة، و قد سعي هؤلاء الي الحفاظ علي هذا الوضع.

4- ظل الوضع علي هذا الحال إلي أن آلت الخلافة إلي الخليفة

الأموي «عمر بن عبـد العزيز» الـذي كان أقرب لأهل البيت عليه السـلام من غيره، حيث نقرأ في شـرح نهج البلاغة:«لما وُلي عمر بن عبد العزيز ردَّ فـدك علي ولـد فاطمـة، و كتب إلي و اليه علي المدينـة أبي بكر عمرو بن حزم يأمره بـذلك، فكتب إليه: إن فاطمة قد ولدت في آل عثمان، و آل فلان و آل فلان، فعلي من أردُّ منهم؟ فكتب إليه:

«أما بعـد: فإني لو كتبت إليك آمرك أن تذبح شاةً لكتبت إليَّ: أجماء أم قرناء؟ أو كتبت إليك أن تذبح بقرةً لسألتني: ما لونها؟ فإذا ورد عليك كتابي هذا فاقسمها في ولد فاطمة من عليٍّ عليه السلام والسلام». (1)

بهذا الشكل صارت «فدك» بيد أبناء فاطمة عليها السلام بعد أن دارت دورةً كبيرة تنقلت فيها بين هذا و ذاك.

5- لم يمض وقت طويل حتي غصبها الخليفة الأموي «يزيد بن عبد الملك» ثانيةً.

6- بعد أن ولي الأمويون و اسـتخلفهم العباسـيون، أعاد الخليفة العباسـي المعروف «أبو العباس السفاح» فدكاً إلي «عبداللّه بن الحسن بن علي عليه السلام باعتباره ممثل بني فاطمة عليها السلام .

7- بعدها مباشرة قام «أبو جعفر العباسي» بانتزاعها من «بني الحسن» (أنهم ثاروا علي بني العباس»

8- أعاد الخليفة «المهدي العباسي» ابن «أبو جعفر» فدكاً إلي أبناء فاطمة عليها السلام .

9- قام الخليفة العباسي «موسي الهادي» بغصبها ثانيةً، و ظل الوضع علي هذا الحال في زمن هارون الرشيد.38

1- البلاذري، فتوح البلدان ص38

10- ولكي يُظهر علاقته الشديـدة بأهل بيت الرسول صـلي الله عليه و آله و أبناء عليٍّ و فاطمة عليها السـلام ، قام المأمون برد فدك إلي وُلد فاطمة عليها السلام .

لقد ورد في التأريخ أن المأمون كتب إلي و اليه علي المدينة «قثم بن جعفر» قائلاً:

«إنّه كان رسول اللّه أعطي ابنته فاطمـة فـدكاً و تصـديق عليها بها، و إنَّ ذلك كان أمراً ظاهراً معروفاً عنـد آله عليهم السـلام ثم لم تزل فاطمة تـدعي منه بما هي أولي من صـدق عليه، و إنه قـد رأي ردها إلي ورثتها و تسـليمها إلي «محمّد بن يحيي بن الحسـين بن زيد بن عليّ»... و «محمّد بن عبداللّه بن الحسين»... ليقوما بها لأهلهما».

يقول ابن أبي الحديد:

«جلس المأمون للمظالم، فأول رقعـةٍ وقعت في يـده نظر فيها و بكي، و قال للـذي علي رأسه: ناد أين وكيل فاطمة؟ فقام شـيخ عليه دراعة و عمامـة و خفّ تعزي، فتقـدم فجعل يناظره في فـدك و المأمون يحتجُّ عليه و المأمور يحتج علي المأمون، ثمَّ أمر أن يسـجل لهم بها، فكتب السجل و قريء عليه، فأنفذه، فقام دعبل إلي المأمون فأنشده الأبيات التي أوّلها: أصْبَحَ وَجْهُ الزّمانِ قدْ ضَحِكَا بِرَدِّ مَأمُونَ هاشِماً فَدَكاً (1)

و قد ذكر مؤلف كتاب «فدك» أن المأمون اعتمد علي رواية أبي سعيدٍ الخدري بإعطاء النبيّ صلي الله عليه و آله ، فدكاً لفاطمة فقام برد فدك علي أبنائها. (2)

11- أما «المتوكل العباسـي» و بسبب الحقد الذي كان يضمره لأهل بيت النبوة عليه السلام ، قام بغصب فدك من أبناء فاطمة عليها السلام مجدداً.0.

1- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج16،ص217.
2- فدك، السيد محمّد حسن القزويني الحائري، ص60.

12- أصدر ابن المتوكل و هو «المنتصر» أمراً برد فدك إلي الحسن و الحسين عليه السلام ثانيةً.

مما لا شك فيه أن تنقل الأرض من يدٍ لأخري، و التلاعب بأمرها في كل يومٍ من قبل السياسيين الحاقدين سيسبب هلاكها و خرابها بسرعة، و هو عين ما حدث لفدك، فسرعان ما خربت عمارتها و تيبست أشجارها و جفت ثمارها!

علي كل حال فإن هذه الانتقالات التي حصلت إنّما تدل علي حقيقةٍ محسوسةٍ ملموسة، ألا و هي أنَّ الخلفاء كانوا شديدي الحساسية تجاه فدك، فتصرف و موقف كلّ منهم إنما هو نابع مما تقتضيه مصلحته السياسية.

و كل ذلك تأكيد علي ما ذكرناه من أن لغصب فدك بعداً سياسياً أهم من بعده الاقتصادي، فمصلحتهم كانت تقتضي منهم أن يعملوا علي إبعاد أهل بيت الرسالة عليه السلام عن المجتمع الإسلامي، و التقليل من شأنهم و مكانتهم، و إظهار العداء لهم تارةً، و التقرب و التودد إليهم تارة أخري عن طريق ردِّ فدك إليهم و الذي تكرر لعدة مراتٍ عبر التأريخ.

إنّ أهمية فدك في أذهان عامة المسلمين محدودة، فما يذكره التأريخ هو أنّها لم تزل في أيديهم حتي كان في أيام المتوكل، و كان فيها إحدي عشرة نخلة غرسها رسول اللّه صلي الله عليه و آله بيده، فكان بنو فاطمة يأخذون ثمرها، فإذا قدم الحجّاج أهدوا لهم من ذلك التمر فيصلونهم، فيصير إليهم من ذلك مال جزيل جليل. (1)7.

1- شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، ج16، ص217.

3 - فدك و أئمة الهدي عليهم السلام

من المسائل الملفتة للنظر هي عدم تدخل أيّ من الأئمة «بعد الغصب الأول» في أمر فدك، ابتداءً من أمير المؤمنين عليه السلام و مروراً بالأئمة من ولده بل إنّ بعض الخلفاء من أمثال «عمر بن عبدالعزيز» و «المأمون» اقترحوا ردّها علي واحدٍ من أئمة أهل البيت عليه السلام ، و كان ذلك مدعاةً للحيرة و التساؤل عن سبب موقفهم هذا من فدك؟

لِمَ لم يرجع عليٌّ الحق إلي أهله عند ما كانت الدولة الإسلامية تحت سيطرته، أو لماذا (علي سبيل المثال) لم يعطِ المأمون فدكاً إلي عليٍّ بن موسي الرضا عليه السلام خصوصاً و أنّه كان يظهر للإمام حبه العميق؟ و لماذا أعطاها لبعضٍ من حفدة زيد بن علي بن الحسين عليه السلام باعتباره ممثلاً عن «بني هاشم»؟

ونقول في الإجابة علي هذا السؤال التأريخي المهم:

أما بالنسبة لأمير المؤمنين عليه السلام فإنّه أفصح عن رأيه في أمرها في قوله المختصر الغزير المعني و الذي قال فيه:

«بلي كانت في أيدينا فدك من كلِّ ما أظلته السماء، فشحت عليها نفوس قوم، و سخت عنها نفوس قوم آخرين، و نعم الحكم اللّه. و ما أصنع بفدكٍ

ص: 85

و غير فدك، و النفس مظانّها في غدٍ جدث تنقطع في ظلمته آثارها...» (1)

بين أميرالمؤمنين عليه السلام بصورةٍ عملية أن مطالبته بفدكٍ لم تكن لكونها منبعاً مصدراً اقتصادياً يسترزق منه، و أن هو و زوجته طالبا بها يوماً فلأنّها سبيل إلي تثبيت مسألة الولاية، و منع خطوط الانحراف من السيطرة علي منصب خلافة الرسول صلي الله عليه و آله . الآن و بعد أن مضي ما مضي، و بعد أن بقي لفدك جانبها الماديّ فقط، فما فائدة استردادها؟

و للعالم و المحقق الكبير السيد المرتضي كلام قيم بهذا الشأن حيث يقول:

«لما آلت الخلافة إلي عليٍّ بن أبي طالب كُلِّم في رد فدك فقال: إنّي لأستحي أن أرُدَّ شيئاً منع منه أبوبكر و أمضاه عمر». (2)

إن هذا القول الحكيم يشير في الحقيقة إلي شهامة و عدم اعتناء الأمير عليه السلام بفدك كونها ثروة مادية و مصدر رزق من ناحية، و من ناحية أخري فهو يعرف غاصبي الحق الأوائل.

أما لماذا لم يسلم الخلفاء الذين أظهروا و دهم لآل بيت النبوة صلي الله عليه و آله فدك إلي الأئمة، و دفعوها إلي أحد أحفاد زيد بن علي مثلاً أو أشخاصاً غير معروفين باعتبارهم ممثلين لبني فاطمة عليها السلام ؟

فانه يمكن أن يكون لهذا الأمر سببان:

1- لم يكن أئمة الهدي عليه السلام ليتقبلوا فدكاً، فحينها كان لذلك العمل2.

1- نهج البلاغة، الرسالة45.

2- شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، ج16، ص 252.

بعداً مادياً يطغي علي بعده المعنوي، و ربما كان يحمل علي أنه تعلق بثروةٍ دنيوية لا معنوية.

بتعبيرٍ آخر فإن تسـلم الأئمة عليه السـلام لها في تلك الظروف يقلل من شأنهم، إضافة إلي أن ذلك سـيمنعهم من القيام علي خلفاء الجور، فكلما أرادوا مجاهـدة الحكام انتزعت منهم فـدك. (و هـذا نفس ما رواه التأريـخ من أن الخليفـة العباسـي «أبو جعفر» انتزع فـدك من «بني الحسن» عندما ثار بعضهم عليه).

2- من ناحيةٍ أخري كان الخلفاء يفضـلون عدم تطور إمكانات الائمة عليه السـلام المادية، فكما هو معروف في قصة «هارون الرشيد» عند مجيئه للمدينة و احترامه الشديد للإمام «موسي بن جعفر» عليه السلام بشكلٍ أذهل ذلك ابنه المأمون.

ولكن عند ما حان وقت الهدايا، أرسل الرشـيد هدية متواضعةً للإمام عليه السلام ، فتعجب المأمون من ذلك، و عندما سأل أباه عن السبب، قال الرشيد:

«أسكت لا أمّ لك! فإني لو أعطيته هذا ما ضمنته له، ما كنت آمنه أن يضرب وجهي غداً بمأة ألف سيفٍ من شيعته و مواليه، و فقر هذا و أهل بيته أسلم لي و لكم من بسط أيديهم و إغنائهم.» (1).

1- الاحتجاج الطبرسي، ص167 (و كان الرّشيد قد أعطي لغير الأمام خمسة آلاف دينارٍ و أعطي للامام مائتا دينارٍ فقط).

4- محكمة تأريخية

كما مر ذكر سابقاً نقل الرسول صلي الله عليه و آله ملكية فدكٍ إلي فاطمة الزهراء عليها السلام بعد أن نزلت الاية الشريفة و آتِ ذا القربي حقّه». و لم ينفرد مفسرو الشيعة في نقل هذه الرواية عن الصحابي المعروف «أبو سعيد الخدري» بل و اتفق معهم علماء الجمهور أيضاً و قد أوردنا إسناد هذه الرواية آنفا.

وضعت الحكومة التي استولت علي الخلافة بعد الرسول صلي الله عليه و آله يدها علي فدك، و أخرجت أبناء فاطمة عليها السلام منها نقل هذا الأمر كل من العالم السني المعروف «ابن حجر» في كتاب «الصواعق المحرقة» و «السمهودي» في «وفاء الوفاء» و «ابن أبي الحديد» في «شرح نهج البلاغة».

قامت سيدة الاسلام عليها السلام بالمطالبة بحقها عن طريقين:

الأول هو كون فدك هدية الرسول صلي الله عليه و آله لها، و الثاني هو أنها ميراثها من أبيها صلي الله عليه و آله (بعد أن رُدّت دعوي الهدية).

استشهدت سيدة النساء في المرحلة الأولي بأمير المؤمنين «علي بن أبي طالب» عليه السلام . و «أم أيمن (رض)» عند الخليفة الأول، لكن الخليفة لم يقبل شهادتهما و لم يقر حقها بحجّة أن الدعوي لا تثبت إلا بشهادة رجلين أو رجلاً و امرأتين.

ثم رفض مسألة «الإرث» مدعياً أن الرسول صلي الله عليه و آله قال:

«إنا معاشر الأنبياء لانُورث ما تركناه صدقة».

لكن و من خلال تحقيقٍ شاملٍ يتضح أن النظام الحاكم الغاصب قد ارتكب في عمله هذا عشرة أخطاء فاحشة، سنقوم بعرضٍ مختصرٍ لها و نتوكل الخوص في التفاصيل إلي محل آخر:

1- كانت فاطمة عليها السلام تملك فدك، أي أنها كانت «ذو اليد»، و في رأي القوانين الإسلامية و جميع القوانين المعروفة في الوسط العقلائي العالمي فإن «ذو اليد» لايحتاج إلي استشهاد أو تصديقٍ علي ما يملكه إلا إذا أظهرت شواهد علي بطلان ملكيته.

فمثلاً إذا ادّعي شخص ملكية دارٍ يسكن فيها، فلا يمكن إخراجها من يده ما لم يظهر دليل يُنافي إدعائه، كما لا حاجة في أن يشهد أحداً علي ديمومة ملكيته، بل إن هذا التصرف (إن أراد إنجازه بنفسه أو يوكله لممثليه) لأفضل دليلٍ علي صحة مالكيته.

2- إن شهادة فاطمة الزهرا عليها السلام لوحدها كانت كافية في هذه المسألة، لأنها معصومة بحكم الآية الشريفة:ي إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراًي (1)، و حديث الكساء المشهور الذي نقلته كتب العامة المعتبرة و كتب الصحاح، فأبعد اللّه عز و جل القبح و الذنب عن النبي صلي الله عليه و آله و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين عليه السلام ، و طهرهم من كلِّ معصية. فكيف يمكن أن يشكَّ أو يرتاب الآخرون بادعاء مثل هذا الشخص؟

3- إنّ شهادة الإمام علي عليه السلام لوحدها كانت كافية أيضاً، فهو يتحلي بمنزلة العصمة أيضاً، و آية التطهير و الروايات التي دلّ علي هذا المعني و2.

1- سورة الاحزاب، آية 32.

فيرة، منها الحـديث المشـهور «الحق مع عليٍّ مع الحق، يدور معه حيثما دار» (1) الذي يكفينا دليلاً علي عصـمته عليه السـلام . إذا كيف يدور الحق حول محور وجود عليٍّ عليه السلام ، لكن شهادته غير مقبولة؟

2- تعد شهادة «أم أيم» هي الأخري كافيةً في إثبات الحق، فكما ينقله ابن أبي الحديد:

عندما جاءت فاطمة عليها السلام بأم أيمن للشهادة، قالت «أم أيمن» لأبي بكر:

لا أشهد يا أبا بكر حتي أحتجّ عليك بما قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، أنشدك باللّه ألست تعلم أن رسول اللّه صلي الله عليه و آله قال: «أم أيمن امرأة من أهل الجنة» . فقال أبوبكر: بلي.

إذن فكيف تُردُّ شهادتها بعد أن علموا مقامها و هي من أهل الجنة. (2)

5- إضافـة إلي كلِّ ما سـبق، يكتفي الحاكم بتوفر القرائن المختلفـة «لحسـيةً كانت أم الشبية بها» ليقوم بالفصل في الدعوي، فهل يا تري أن مسألـة «ذو اليـد» من ناحيـة، و شـهادة الشـهود الذين تكفي شـهادة كلٍّ منهما في إثبات و إحقاق الحق من ناحيةٍ أخري، لا يوفران العلم و اليقين لدي الحاكم؟

6- لم يكن حـديث ميراث الأنبيـاء في الواقع كمـا صـاغه و فسـره الغاصـبون، و إنمـا كان بشـكلٍ و معني آخرين، فمصادر الحـديث تنقل الحديث بالشكل الاتي «إن الأنبياء لم يُورثوا ديناراً و لا درهماً ولكن ورثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظٍّ وافرٍ». (3)4.

1- شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، ج 16، ص219.
2- شرح نهج البلاغه ابن أبي الحديد.
3- الكافي، ج1،ص34.

و هنا نستدل أن الحديث يقصد الإرث المعنوي الذي يورثه الانبياء، ولا علاقة له بالإرث المادي، و هذا هو مصداق الحديث المروي عن الرسول صلي الله عليه و آله في أن: «العلماء ورثة الأنبياء».

خاصة عبارة «ما تركناه صدقة» فهي حتماً لم تكن موجودةً في الحديث مطلقاً، فهل يمكن أن يتحدث الرسول صلي الله عليه و آله بما يخالف صريح القرآن؟ إنّ القرآن الكريم يشهد في مواضع متعددة علي توريث الأنبياء أبناءهم، و تشير آياته الشريفة بوضوح إلي أن ميراثهم لم يقتصر علي الميراث المعنوي فحسب، بل و شمل الجانب المادي أيضاً.

و قد استدلت سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام بهذه الايات المباركة في خطبتها المعروفة التي ألقتها في المسجد النبوي الشريف بين جمع من المهاجرين و الأنصار، فلم ينكر عليها أحد منهم ما تقول، كل ذلك كان دليلاً علي زيف الحديث الذي ادّعاه الخليفة.

73- إن صحَّ هذا الحديث، فكيف لم تعرف و لم تسمع به أي من نساء النبي صلي الله عليه و آله ، حيث أرسلن إلي الخليفة من يطالب بسهمهنَّ من ميراث الرسول صلي الله عليه و آله . (1)

8- إن صح هذا الحديث، فلماذا أصدر الخليفة مباشرة حكماً أمر فيه برد فدك إلي فاطمة الزهراء عليها السلام ، ذلك الحكم الذي سلبه الخليفة الثاني منها و مزقه. (2)

9- إذا كان لهذا الحديث واقعية، و كان لازماً تقسيم فدك علي1.

1- معجم البلدان الحموي، ج4، مادة فدك، ص239 شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، ج6، ص223.
2- السيرة الحلبية في سيرة الأمين و المأمون، ج3، ص391.

المستحقين باعتبارها صدقة، فلم استدعي الخليفة الثاني في زمان خلافته عليّاً عليه السلام و العباس –بعد فوات الأوان –و أبدي استعداده في تسليمهما فدك كما جاء في كتب تأريخ الاسلام المشهورة. (1)

10– ورد في كتب «الشيعة» و «السنة» المعتبرة أن سيدة الإسلام فاطمة الزهراء عليها السلام غضبت علي الخليفتين الأول و الثاني بعد أن منعاها حقها –فدك –، و قالت لهما «لن أكلمكما بعد اليوم» (2) و كان الأمر كما قالت إلي أن وافاها الأجل.

في حين تنقل المصادر الإسلامية المشهورة عن الرسول صلي الله عليه و آله حديثه المشهور الذي قال فيه: «من أحب ابتني فاطمة فقد أحبني، و من أرضي فاطمة فقد أرضاني، و من أسخط فاطمة فقد أسخطني». (3)

فهل من الممكن بعدها أن تمنع فاطمة عليها السلام حقاً تطالب به، و يتمسك بحديثٍ يفتقد إلي الصحة و الصدق و الرجوع إليه في مقابل نص كتاب اللّه الذي ينصُّ علي توريث الأنبياء أبناءهم.

علي كلِّ حال، لا يوجد أي مسوّغ في مسألة غصب فدك، و ليس لذلك الفعل دليل معقول.

مالكية الزهراء عليها السلام من ناحية.

الشهود العدول المعتبرون من ناحية أخري.

شهادة القرآن المجيد من ناحيةٍ ثالثة.

و من ناحيةٍ رابعة نري الروايات الإسلامية المختلفة كلها أدلة تصدق و9.

1– صحيح البخاري باب فضل الخمس و كتاب «الصواعق المحرقة» لابن حجر، ص9.
2– الإمامة و السياسة، ابن قتيبة، ص14.
3– صحيح البخاري، باب فضل الخمس و كتاب «الصواعق المحرقة» لابن حجر، ص9.

تشهد بأحقية سيدة الإسلام في فدك.

إضافة إلي كلِّ ذلك فإنَّ آيات المواريث عموماً تنصّ علي أن لجميع الناس الحق في تركة آباءهم و أمهاتهم و الأقربون. لذا لا يمكن التغاضي عن هذا الحكم الإسلامي مادام الدليل لم يقم علي نفي تلك العمومات و هذا شاهد آخر.

ص: 93

5 - حدود فدك!

إنّ فـدك -كما ذكرنا آنفاً -هي في الظاهر قريـة مخضـرة مثمرة قريبـة من خيبر، لم تخفَ حدودها علي أحد، لكن الغريب ماورد في جواب الإمام موسي بن جعفر عليه السلام لهارون الرشيد عند ما سأله الأخير قائلاً:

«حُدَّ فدكاً حتي أردها إليك»

حيث أبي الإمام عليه السلام لكن الرشيد ألحَّ عليه.

فقال عليه السلام : لا آخذها إلّابحدودها.

قال هارون: و ما حدودها؟

قال عليه السلام : إن حدّدتها لم تردّها.

قال هارون: بحق جدك إلا فعلت؟

قال عليه السـلام : أما الحد الأول فعدَن، فتغير وجه الرشيد و قال: أيهاً، قال: و الحدّ الثاني سمرقند، فاربد وجهه، قال: و الحدّ الثالث أفريقية فاسودَّ وجهه، و قال: هيه، قال: و الرابع سيف البحر مما يلي الجزر و أرمينية.

قال الرشيد: فلم يبقَ لنا شيء، فتحول إلي مجلسي.

قال الإمام عليه السلام : قد أعملمتك أنني إن حددتها لم تردها، فعند ذلك عزم علي قتله (1) -

---

1- بحار الانوار، ج8 ص106.

فهذا الحديث دلالة واضحة علي إرتباط قضية «فدك» «بالخلافة»، و يبين أن المهم في الأمر كان غصب خلافة رسول اللّه صلي الله عليه و آله . و إذا أراد هارون أن يعيد فدك فان عليه أن يتخلي عن الخلافة، و هذا ما جعله يلتفت إلي أن الامام موسي بن جعفر عليه السلام إذا شعر بالقوة سيزيله عن الخلافة، و لذلك عزم الرشيد علي قتل الامام عليه السلام .

ص: 95

استنتاج

إن قصة «فدك» المؤلمة التي تحكي أحداث قريةٍ صغيرةٍ عانت الكثير عبر تاريخ الإسلام، تشير بوضوح إلي المؤامرة الكبيرة التي هدفت إلي إبعاد أهل بيت النبوّة عليه السلام عن منصب الخلافة الإسلامية و تجاهل مقام إمامتهم و ولايتهم، مؤامرة شملت مختلف الأبعاد.

لقد سعي السياسيون منذ البدء خصوصاً في عصر «بني أمية» و «بني العباس» أن يسدلوا الستار علي أهل بيت النبوة عليه السلام ، و يسلبوهم كل ميزةٍ تؤدي إلي تفوقهم و انتصارهم، بل لم يتوانوا (عند لزوم الأمر) في الاستفادة من عنوان و اسم أهل البيت عليه السلام في تحقيق مآربهم، في حين رفضوا ردَّ الحق إلي أصحابه!

نعلم جيداً أن حجم الدولة الإسلامية قد إتسع في عصر «بني أمية» و«بني العباس» كما زادت ثرواتها و كثرت ذخائر بيت المال بشكلٍ قلَّ مثيله في تأريخ العالم إن لم ينعدم، و رغم أن فدك لم تكن لتشكل رقماً في مقابل كلّ ذلك، إلا أن الدوافع الشيطانية لم تسمح لهم برد الحق إلي أصحابه، بل والكف عن مواصلة التلاعب بهذه القضية.

و في الحقيقة، تعتبر قصة فدك وثيقة تأريخية إسلامية تثبت مقام آل بيت النبّي صلي الله عليه و آله الرفيع من ناحية، و تشير إلي ظلامتهم من ناحيةٍ أخري،

وتكشف الغطاء عن المؤامرات التي حاكها الأعداء لهم من ناحيةٍ ثالثة.

اللهمَّ اجعل محيانا محيا محمدٍ و مماتنا محمدٍ و آل محمدٍ – صلي اللّه عليه و آله و سلم –واحشرنا في زمرتهم و العن أعدائهم أجمعين.

ص: 97

الملحمة الكبيرة

اشارة

ص: 99

ساد العالم الإسلامي بعد وفاة الرسولٌ هزّة عنيفة، وكان محور هذه العاصفة يدور حول منصب «الخلافة»، ثم انتقل الي كلِّ ما يرتبط بهذا المنصب، منها قرار مصادرة أرض «فدك» التي وهبها الرسول صلي الله عليه و آله لابنته فاطمة عليها السلام استناداً إلي مصالح مهمة، فقد صودرت من قبل النظام الحاكم. (1)

لاحظت فاطمة عليها السلام أن هذا التجاوز الواضح و ما رافقه من تجاهلٍ

1- «فدك» كما قلنا هي واحدة من القري المعمورة التي تقع علي أطراف المدينة المنوّرة، و يسكنها جمع من اليهود و هم كسائر يهود المدينة و خيبر في التآمر علي الإسلام. في السنة السابعة للهجرة و بعد أن تساقطت قلاع خيبر الواحدة تلو الاخري أمام جنود الإسلام و بعد أن تحطمت قدرة اليهود المركزية لجأ سكان «فدك» للصلح مع النبيٌ صلي الله عليه و آله و التسليم له، فقد أعطوه نصف الأرض و البساتين و احتفظوا بالنصف الاخر. قام الرسول صلي الله عليه و آله في حياته -طبقاً لما نقله مؤرخوا و مفسروا الشيعة و السنّة -باعطاء فدك لفاطمة صلي الله عليه و آله ، لكن غاصبي الحكومة الإسلامية بعد الرسول صلي الله عليه و آله قاموا بمصادرة تلك الأرض استناداً الي حجج باطلة و من ثمَّ ضمها إلي بيت المال -و في الواقع ضمّها إلي أموالهم و منافعهم الشخصية -خوفاً من نموّ القدرة الاقتصادية لزوجة أمير المؤمنين علي عليه السلام و بالتالي منافستهم سياسياً علي الخلافة، علماً أنّهم عمدوا إلي تشتيت أصحاب علي عليه السلام . إنِّ قصة فدك و الحوادث المختلفة الأخري التي جرت في صدر الإسلام و المرحلة التي تلت ذلك لهي من أغمِّ و أشدِّ ما أفرزه التأريخ الإسلامي ألماً و عبرةً و مآسي. و هذا ما ورد تفصيله في فصلٍ من هذا الكتاب و بشكلٍ منفصل.

للأحكام الإسلامية في هذا الامر سيجرف الأمة الإسلامية إلي انحرافٍ كبيرٍ عن تعاليم الإسلام و سنة الرسول الكريم صلي الله عليه و آله و الاندفاع نحو تقاليد الجاهلية، من ناحيةٍ أخري فإنها مقدمة لفرض إقامةٍ جبريةٍ علي عليٍّ أمير المؤمنين عليه السلام و محاصرته و أصحابه اقتصادياً، لذا بدأت بالدفاع عن حقها أمام غاصبي «فدك»، و طالبت بكل وجودها بإعادة حقها السليب، لكن النظام الحاكم رفض أداء حقها بحجةٍ باطلة و حديثٍ موضوع «نحن معاشر الانبياء لانورث».

أقبلت سيدة نساء العالمين مع لمة من نساء بني هاشم إلي مسجد النبيِّ صلي الله عليه و آله لتعلن عن رأيها و ظلامتها أمام جمهور المسلمين، و سادات المهاجرين و الانصار حتي تتمَّ حجتها، و تكشف حجج هذا الغصب العجيب و المصادرة الظالمة من قبل جهاز النظام، إظافةً إلي فضح صفوف المدافعين عن سياسة التجاوز و تمييزهم عن الأمناء الحقيقيين للإسلام.

غير مكترثة للضجة المفتعلة بهذا الخصوص و ماستفرزه هذه الفضيحة الكبيرة من نتائج، فقد استمرت في تصميها، و احتجت علي «غصب فدك» من خلال خطبة غراء ألقتها أمام المهاجرين في المسجد مزيلةً الستار عن كثيرٍ من الحقايق.

كانت هذه الخطبة بمثابة تحذيرٍ مروع لأولئك الذين سعوا إلي حرف الحكومة الإسلامية و خلافة الرسول صلي الله عليه و آله عن مسيرها الحقيقي و تضييع تلك الجهود التي تحملها لأكثر من عقدين.

كانت خطبتها «ناقوس الخطر» لأولئك الذين ينبض قلبهم بعشق الاسلام، و يخافون علي مستقبل هذا الدين الطاهر.

و«الإنـذار العنيف» لأولئك الغافلين عن تغلغل المنافقين و نفوذهم في الجهاز السياسـي بعـد الرسول صـلي الله عليه و آله ، و المتجاهلين لأعمالهم المبطنة.

«الصـرخة الأليمـة» في حمايـة عليٍّ أمير المؤمنين عليه السـلام و وصـيّ رسول رب العـالمين صـلي الله عليه و آله ، حيث تجاهـل بعض السياسيين كلَّ ما ورد فيه من آياتٍ قرآنيةٍ و توصياتٍ للرسول صلي الله عليه و آله .

«إحقاق الحق المهضوم» لتوعية كل من غُصب حقه و هو يفضل المسالمة و السكوت علي الانتفاضة و التصدي.

«الصيحة المؤثرة» التي دوي صداها في كلَّ مكان، و بقيت آثارها علي مر العصور و القرون.

«الزلزال العميق» الذي أيقظ أمواجه المتلاطمة تلك الأرواح النائمة – ولو مؤقتاً –، و أظهر لها طريق الحق.

و أخيراً فقـد كانت «الصاعقـة المميتـة» التي حلت علي رؤوس أعـداء الإسـلام و أخذتهم بغتة، أما عمق التحليلات التي أوردتها الصديقة الطاهرة بشأن أعقد المسائل المرتبطة بالتوحيد و المبدأ و المعاد فانما تكشف عن بعد نظرها وسعة رؤيتها عليه السلام .

إن ما تضـمنته خطبة ابنة الرسول الكريم صـلي الله عليه و آله من تفسـيرٍ للقضايا العقائدية و السياسية و الاجتماعية لهو دليل واضح و دامغ علي أن تلك الصديقة ليست متعلقة بزمان دون آخر.

الملاـحم الثوريـة التي جرت علي لسان فاطمـة عليها السـلام في هـذه الخطبـة، تـدل علي أنها سـيدة فدائيـة، مجاهـدة، و زعيمـة صالحة للملقاتلين في سبيل اللّه و المجاهدين في سبيل الحق.

إن لحن سيدة النساء في هذه الخطبة الذي ينفذ إلي أعماق روح

الإنسان و قلبه يبين حقيقة مهمة و هي أنها محدثة بليغة، و خطيبة مقتدرة، كزوجها أمير المؤمنين علي عليه السلام ، فقد كانت هذه الخطبة الغراء علي غرار خطب عليٍّ عليه السلام في نهج البلاغة و سارت معها جنباً إلي جنب حتي أظهرت الايام أن ابنتها زينب قد ورثت ذلك من أبيها و أمها معاً، حيث ألقت بخطبها في سوق الكوفة و مجلس يزيد الرعب في نفوس بني أمية المجرمين، و زلزلت أركان دار الامارة و نثرت بذور الثورة في قلوب أهل الكوفة و الشام ضد هذه الحكومة الجائرة الجبارة.

أفرزت خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام العديد من الدروس، فما بينته في أدق مسائل الفلسفة و أسرار الأحكام، و تحليل تأريخيٍّ سياسيٍّ للإسلام، و مقارنةٍ بين العرب في زمن الجاهلية و بين حياتهم بعد ظهور الإسلام تعتبر دروساً عظيمة المعني، يستفيد منها كل من يسير علي خطي الحقِّ مجاهداً في سبيل اللّه.

و الاهم من ذلك أنَّ فاطمة عليها السلام أفصحت عن موقف آل بيت النبِّي صلي الله عليه و آله بالنسبة إلي النظام الحاكم، و برئت ساحة الإسلام المقدسة من الظلم و الجور الذي ارتكب باسم الإسلام، و لو انحصرت فائدة الخطبة في هذا الأمر، لكان كافياً!

أسانيد و وثائق الخطبة

تعد هذه الخطبة واحدةً من الخطب المشـهورة التي نقلها كبار علماء الشـيعة و السنة بسلسلةٍ كبيرةٍ من الاسانيد المعتبرة، خلافاً لما يتصوِّره البعض من أنها ضعيفة أو حتي عديمة السند. و من بين المصادر التي أوردت هذه الخطبة هي:

1- أورد عالم أهل السنّة المشهور ابن أبي الحديد المعتزلي في توضيح رسالة «عثمان بن حنيف» في الفصل الأول من «شرح نهج البلاغة» و ثائقاً مختلفةً عن خطبة سـيدة الإسـلام فاطمة عليها السـلام ، و يصرح قائلاً بأن الاسانيد التي أوردتها لهذه الخطبة ليست مأخوذةً من أيٍّ من كتب الشيعة.

ثم يشـير إلي كتاب «السقيفة» ل «أبوبكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري» الذي يعدُّ واحداً من كبار محدثي أهل السنّة بأنه نقل هذه الخطبة في كتابه من عدة طرق –و أورد ابن أبي الحديد جميع تلك الطرق في شرح نهج البلاغة، و لغرض الاختصار فقد صرفنا النظر عن ذكرها –

بعدها يضيف، عندما عزمت الحكومة علي غصب «فدك» أقبلت

ص: 105

فاطمة عليها السلام إلي المسجد ما تخرم مشيتها مشية رسول اللّه، و هناك ألقت خطبتها الغراء.

ثم ينقل ابن أبي الحديد تلك الخطبة المشهورة و المعروفة و ان كان هنالك إختلاف طفيف في عبارات هذه الخطبة في بعضي النقول.

2 - أورد «علي بن عيسي الأربلي» هذه الخطبة في كتاب «كشف الغمّة» نقلاً عن كتاب «السقيفة» لأبي بكر أحمد بن عبد العزيز.

3 - أشار «المسعودي» في «مروج الذهب» إلي الخطبة بشكلٍ إجمالي.

4 - «السيد المرتضي» العالم و المجاهد الشيعي الكبير أورد هذه الخطبة في كتابه «الشافي» نقلاً عن عائشة زوجة رسول اللّه صلي الله عليه و آله .

5 - ذكر المحدث المعروف «المرحوم الصدّوق» مقتطفاتٍ منها في كتاب «علل الشرائع».

6 - روي الفقيه المحدث المرحوم الشيخ «المفيد» قسماً من هذه الخطبة.

7 - أورد «السيد بن طاووس» قسماً منها في كتاب «الطرائف» نقلاً عن كتاب «المناقب» ل «أحمد بن موسي ابن مردويه الأصفهاني» و هو من مشاهير أهل السنّة الذي نقلها بدوره عن عائشة.

8 - و أوردها المرحوم «الطبرسي» صاحب كتاب «الاحتجاج» بصورة مرسلة (1)

علي كل حال فإن هذه الخطبة التأريخة هي واحدة من خطب أهل البيت عليه السلام المعروفة، و طبقاً لما نقل فإنَّ كثيراً من الشيعة المخلصينة.

1- بحارالانوار العلامة المجلسي، ج8، ص108 الطبعة القديمة.

أوصوا أبناءهم بحفظ هـذه الخطبة، حتي لا يسـتقر عليها غبار النسـيان بمرور الزمن، و لا تكون محطاً للتجاهل و التصـغير من قبل الأعداء المغرضين.

و الاولي أن يحفظها اليوم جيل الشباب الشجاع و ينقلها لأجيال الغد.

ص: 107

المحاور السبعة لخطبة فاطمة الزهراء عليها السلام

تتضـمن هذه الخطبة الغراء التي قلّ نظيرها سـبعة محاور، و تدور حول سـبعة مباحث ينشد كل منها هدف واضح، و يجب دراسة كلٍّ منها بصورة مستقلة.

المحور الأول:

تحليل عميق و مختصر لمسائل التوحيد و صفات الخالق و أسمائه الحسني و هدف الخلقة.

المحور الثاني:

التذكير بمنزلة الرسول صلي الله عليه و آله السامية و صفاته و مسؤولياته و أهدافه.

المحور الثالث:

التحدث عن أهمية القرآن المجيد و عمق تعاليم الإسلام، و فلسفة الأحكام وأسرارها، و الارشادات و النصائح في هذا المجال.

المحور الرابع:

من خلال تعريف نفسـها، تقوم سـيدة النساء عليها السـلام بالإفصاح عن خـدمات أبيها رسول اللّه صـلي الله عليه و آله لهـذه الأمة، و هنا تذكّرهم فاطمة الزهراء عليها السـلام بعصر الجاهلية القريب ليكون لهم عبرة، و من ثم مقارنته مع وضعهم بعد الإسلام، و اتخاذ درسٍ من هذا الاختلاف و التغيير.

المحور الخامس:

تفصح عن الأحداث التي تلت وفاة الرسول الكريم صلي الله عليه و آله ، و سعي حزب المنافقين لمحو الإسلام.

المحور السادس:

تتحدث عن الحجج الواهية التي اتّخذوها ذريعةً في غصب «فدك»، و من ثم تفنيد تلك الحجج.

المحور السابع:

و من أجل أن تُتِمَّ حجتها تقوم سيدة النساء عليها السلام باستنصار الأنصار و أصحاب الرسول صلي الله عليه و آله المخلصين، و تنهي خطبتها ببشارتهم بالعذاب الإلهي.

المحور الأول

توحيد اللّه و صفاته و هدف التكوين

النص:

الحمد للّه علي ما أنعم و له الشكر علي ما ألهم و الثناء بما قدم، من عموم نعمٍ ابتدأها، و سبوغ آلاءٍ أسداها، و تمام منٍن والاها!

جمَّ عن الإحصاء عددها، و نأي عن الجزاء أمدها، و تفاوت عن الإدراك أبدها، و ندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها و استحمد إلي الخلائق بأجزالها، و ثني بالندب إلي أمثالها.

و أشهد أن لا إله إلاّ اللّه، وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها و ضمن القلوب موصولها، و أنار في الفكر معقولها.

الممتنع من الأبصار رؤيته، و من الالسن صفته، و من الأوهام كيفيته.

إبتدع الأشياء لا من شيءٍ كان قبلها، و أنشأها بلا احتذاء أمثلةٍ امتثلها.

كونهـا بقـدرته و ذرأهـا بمشـيئته من غير حاجـةٍ منه إلي تكوينها، ولا فائـدة له في تصويرها إلاّ تثبيتاً لحكمته، و تنبيهاً علي طاعته، و إظهاراً لقـدرته، و تعبـداً لبريته و إعزازاً لـدعوته ثم جعل الثواب علي طاعته ووضع العقاب علي معصـيته، زيادةً لعباده عن نقمته و حياشةً لهم إلي جنته.

ص: 110

المناقشة:

في القسم الأول للخطبة عدداً من المسائل المهمة الجديرة بالبحث:

1- الالتفات إلي الحقيقة التي نعيشها، و هي أنَّ نِعَمَ اللّه جل و علا قد أحاطت بكلِّ وجودنا حتي غرقنا فيها، و هذا الأمر يحيي فينا حسَّ الشكر و الثناء بل و يجرنا إلي معرفة ذاته الطاهرة.

و هذا ما يعتمد عليه علماء علم الكلام -العقائد -تحت عنوان «وجوب شكر المنعم» في مسألة وجوب معرفة اللّه سبحانه و تعالي.

2- إذا كان اللّه سبحانه و تعالي قد دعي عباده إلي شكر نِعمه، فليس ذلك من باب الحاجة له، بل ليكتسب العباد من خلاله -الشكر -لياقةً أكبر و درجةً أعلي و بالتالي تشملهم نعماً أوفر.

3 - إنّ العباد عاجزون عن أداء حق الشكر للّه، لأن التوفيق للشكر هو نعمةٌ بحد ذاته، كما أن آلات الشكر من -فكرٍ و يدٍ لسان -هي أيضاً من نِعم اللّه، لذا ليس لهم إلا الاعتراف بالعجز. «و كيف أؤدي حق شكرك و شكرك يحتاج إلي شكر».

4 - الإخلاص هو روح التوحيد، تطهير الروح من دَنس الشرك باللّه، و منح القلب كرهينةٍ لحبه، و الخضوع و الخنوع لأمره و خلاصة القول تجاهل و نبذ كل ما لا يُرضي اللّه و نسيان كل شيء سواه!

5 - في الواقع أن التوحيد قد أودع فطرة الإنسان منذ البدء و يشع هذا النور الإلهي في أعماق كل إنسان، و كل واحدٍ منهم يسمع من باطنه نداء «اللّه اكبر»، و لهذا فعند ما يتضاعف البلاء و تتمزق أستار الغفلة يظهر هذا الإشعاع بوضوح أكثر من أي وقتٍ آخر، و ينجذب الجميع لا إرادياً نحو أنفسهم مرددين «لا إله إلا هو».

6- لا يمكن درك كُنه ذاته حتي بالتفكر العميق، حيث:

«كُلّما مَيّز تُمُوهُ بأوْهامِكمْ في أدَقَّ مَعانِيهِ مخلوقٌ مصنوع مثلُكُم مردُودٌ إلَيْكُم» (1) كما لايمكن معرفة كنه صفاته، لذا يجب أن نعترف جميعاً بأن:

«وَ ما عَرَفْناكَ حَقَّ معرفَتِكَ» (2)

«ما عَبْدناكَ حَقَّ عِبادَتِكَ». (3)

7 – تعد مسألة الخلق و التكوين البدائي واحدةً من المسائل المهمة، فلم تكن هناك مادةٌ مصنوعةٌ من قبل حتي يخلق اللّه منها هذا العالم، بل أن الخلق و التكوين قد تم من العدم، و قد اختصت هذه الخلقة بذاته الطاهرة حتي صعب علي البعض تصور ذلك.

8 – المسألة المهمة الأخري في أمر الخلق و التكوين هي أن المصورين يعتمدون دائماً في تصويرهم و رسوماتهم علي ما يستلهمونه من الطبيعة، و أحياناً يقومون بخلط أشكالٍ مختلفةٍ ليُبدعوا في صنع شكلٍ جديد، أما اللّه سبحانه و تعالي فهو المبدع الذي صوّر العالم و جسّمه دون تحضيرٍ مسبقٍ أو تمثيلٍ قبلي.

9 – البحث المهم الآخر في هذا المحور من الخطبة التأريخية لسيدة النساء عليها السلام هو الغني المطلق للّه عن كل شيء.

من البديهي أن الوجود اللامتناهي من جميع النواحي للذات المقدّسة يجعلها غنيّة مطلقة عن كلّ نوعٍ من أنواع الحاجة. لأن «الحاجة» تدل علي «النقص» و النقص ينحصر في الموجودات التي يمكن تصوّرها،6.

1- أربعين الشيخ البهائي، بحار الانوار «للعلامة المجلسي»، ج69، ص293-292.
2- أربعين الشيخ البهائي، و بحارالانوار«للعلامة المجلسي»،ج69،ص293-292.
3- مستدرك الوسائل المحدث النوري، ج1، ص16.

لا في ذات الحق الغير متناهية.

10 – و أخيراً فإن المسألة المهمة الاخري التي طُرحت في هذا المحور هي «هدف الخلق»، حيث تلخص سيدة الإسلام ذلك في جُملٍ قصيرةٍ عظيمة المعني:

أ – تبيين و توضيح الحكمة الإلهية اللامتناهية.

ب – دعوة العباد إلي طاعته.

ج – الإشارة إلي قدرته المطلقة.

د – دعوة العباد إلي عبوديته.

ه – منح أنبيائه القوة.

هذه هي الأهداف التي بيّنتها فاطمة الزهراء عليها السلام في مسألة الخلق، والمُلفت للنظر أن هذه الأهداف ملازمةً لبعضها البعض، فعند ما يري العبد آثار حكمة الخالق و قدرته في عالم الوجود الواسع ينقاد إلي طاعته، و يتوجه إلي عبوديته و ينعقد بمدارج كماله.

و من ناحيةٍ أخري، يكون للأنبياء نفوذ أكثر و أعمق في قلوب الناس عند ما يكون حديثهم مرتكزاً علي نظام خلق عالم الوجود، فتسهل عليهم مسألة الهداية.

و عليه فلم يخلق اللّه الكون حتي يستفيد، بل إن الهدف هو أن يجود علي العباد، فإرادته في أن ينتهجوا سبيل الهداية، فدعاهم إلي قربه، وليسيروا علي نهجه فيستحقوا المزيد من كرمه و لطفه.

المحور الثاني

منزلة الرسول الكريم صلي الله عليه و آله السامية، خصائصهُ و أهدافه

النصّ:

و أشـهد أنّ أبي محمـداً عبده و رسوله، إختاره و انتجبه قبل أن أرسـله، و سـمّاه قبل أن اجتبله، و اصـطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونةٌ و بستر الأهاويل مصونةٌ، و بنهاية العدم مقرونةٌ.

علماً من اللّه تعالي بمائل (بمآل) الأمور، و إحاطة بحوادث الدهور، و معرفةً بمواقع المقدور.

ابتعثه اللّه إتماماً لأمره و عزيمةً علي إمضاء حكمه و إنفاذاً لمقادير حتمه.

فرأي الأمم فرقاً في أديانها، عُكفاً علي نيرآنها،(و) عابدةً لأوثانها، مُنكرةً للّه مع عرفانها.

فأنار اللّه بمحمدٍ صلي الله عليه و آله ظُلمها، و كشف عن القلوب بهمها و جلّي عن الأبصار غممها.

و قام في الناس بالهداية و أنقذهم من الغواية و بصَّرهم من العماية.

و هداهم إلي الدين القويم و دعاهم إلي الطريق المستقيم، ثم قبضة اللّه

ص: 114

إليه قبض رأفـةٍ و اختيارٍ و رغبةٍ و إيثارٍ، فمحمدٌ صـلي الله عليه و آله عن (مِنْ) تعب هذه الدار في راحةٍ، قد حُف بالملائكة الأبرار، و رضوان الرب الغفار، و مجاورة الملك الجبار.

صلّي اللّه علي أبي نبيِّه و أمينه علي الوحي و صفيِّه و خيرته من الخلق و رضيِّه و السلام عليه و رحمة اللّه و بركاته.

التفسير:

تشـير مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السـلام في هذا المحور من خطبتها إلي جزء من المسائل المهمة المتعلقة بشـخص رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، منها:

1- تتحدث عبارتها الأولي عن جوهر ذات الرسول صـلي الله عليه و آله المقدسة الشيء الذي أشير إليه في سائر الأحاديث الإسلامية أيضاً و هنا يبرز بحث مهمٌ و هو، هل تختلف النشأة التكوينية للرسول صلي الله عليه و آله كلياً عن الآخرين؟ و إذا كان كذلك فإن عصمته تكون جزءً من مستلزمات تلك الذات، و ليس في هذا من فضل.

و إذا كان جوهره لا يختلفف عن الاخرين، إذاً فما الهدف الذي تبغيه مولاتنا من وراء هذه التعابير؟

الحقيقة هي أن ميزات و مواهب الأنبياء و الأئمة تنقسم إلي قسـمين، فبعضـها ذاتية و بعضـها الأخراي مُكتسَبة، و بالتدقيق في هذا التركيب الخاص فقد أجيب علي كثيرٍ من التساؤلات.

وبتعبيرٍ آخر، فإن الرب الحكيم الـذي حمّل نبيه أعباء تلك المهمـة العظيمة منحه اسـتعداداتٍ ذاتية: فقد أعطاه جوهراً ممتازاً، ذكاء متوقداً، إرادةً حديديدةً، عزماً راسخاً، و علماً و فيراً و تشخيصاً صائباً، و إلا فلن

يتمكن شخصٌ ضعيفٌ من القيام بهذه الرسالة الكبيرة و سينتفي غرضها.

و هذا الأمر لا يتّصف إلا بالعدالة، فقوة عضلات الساعد تفوق بكثيرٍ قوة عضلات جفن العين، لأن وظيفة الأخيرة رفع و خفض جفن العين، في حين وظيفة الأخري رفع الأحمال العظيمة و إنجاز الأعمال الثقيلة، و خلاف ذلك هو خلافٌ للعدالة.

و مع هـذا فإن الجوهر الـذاتي للرسول صـلي الله عليه و آله لم يسـلب منه الإرادة و الاختيار، فهو أيضاً له القـدرة علي المعصـية «و العياذ باللّه»، علماً أنه لا يرتكب المعصية.

لا تتعجب، فالكثير من الناس العاديين يتمتعون بنفس هذه الحالة بالنسـبة لبعض المعاصـي، فمثلاً يسـتطيع كل امريءٍ أن يظهر عارياً كما ولدته أمه أمام جمعٍ من الناس، أو أن له القدرة علي النوم عارياً في ثلوج ليلة شتاءٍ قارصة، ولكن في نفس الوقت لاتصدر هذه الأفعال إلا من المجانين.

يتمتع الأنبياء و الأئمة المعصومون بنفس هذه الحالة بالنسبة لجميع المعاصي.

و هذا يُلفت النظر إلي المسؤولية الكبيرة التي يتحملها المعصومون تجاه جوهرهم الطاهر، فلا يُقبل منهم أبداً ترك العمل بالأولي.

و تعبير فاطمة عليها السلام الذي تقول فيه «عِلماً من اللّه تعالي بمائل الأمور و إحاطةً بحوادث الدهور» إنما يُشير إلي تلك النقطة، و هي أن اللّه يعلم بثقل الرسالة التي ستُلقي علي عاتق النبي صلي الله عليه و آله لذا جعل جوهره بهذا المستوي الممتاز.

2 – جاء الرسول صلي الله عليه و آله لإتمام الأوامر الإلهية، و تنفيذ أوامره التكوينية.

تشـير هـذه العبارة إلي مسألـة ختم النبوة بالرسول الكريم صـلي الله عليه و آله ، وهي أيضاً إشارة إلي مسألـة إتمام المواهب التكوينيـة عن طريق التشريع والأحكام الإلهية.

3 – تعرّج ابنة رسول اللّه صـلي الله عليه و آله في هذا المقطع من حديثها علي الوضع المأساوي للأمم قبل بعث الرسول صـلي الله عليه و آله و كيفيـة ابتلاـئهم بظلمـة الخرافـات، المجوس في تعظيمهم للنـار، و العرب في عبـادتهم للأصـنام، و سـائر الملل في ابتلائها بنوعٍ من الانحراف و التفرقة.

و ما أعظم قولها «مُنكِرَةٌ للّه مع عرفانه» الذي تشير فيه إلي مسألة «التوحيد الفطري» المكنون في كل البشر.

4 – تشير عليها السلام في قسم آخر من بيانها الرائع إلي بركات وجود النبي«ص» و آثار قيامه، و كيف أبعد عن أفق أفكارهم سحب الأوهام السوداء المظلمـة، و أزال عن قلوبهم صـدأ الجهـل و الخرافـات، و مزّق الغشـاوة التي حجبت أبصارهم عن مشاهـدة الحق، و دعاهم إلي «الصراط المستقيم» و الحد الأوسط الذي يفصل بين الإفراط و التفريط.

و من أجل فهم و درك عمق هذا الحديث، يجب إجراء مقارنةٍ دقيقةٍ بين وضع الناس في عصر الجاهلية و وضعهم بعد ظهور الإسلام، حتي يتّضح الواقع الذي بيّنته سيدة الإسلام عليه السلام في خطبتها.

5 – من المسائل التي يجـدر الإشارة إليها في هذا المقطع من خطبة سـيدة النساء عليها السـلام التأريخية هي الموت الكريم –أو العزيز – للرسول صلي الله عليه و آله :

ذلك الـذي كبلت روحه المتألقـة بقيود الجسـد في هـذه الدنيا الفانية، و بعد أن أدي الرسالة، و أتمَّ المسؤولية، كسِّر تلك القيود محلّقاً نحو الحبيب، مرفرفاً في فنائه، آخذاً مكانه بين ملائكة السماء المقرّبين!

المحور الثالث

كتاب اللّه و فلسفة الأحكام

النص:

ثم التفتت عليه السلام إلي أهل المجلس و قالت:

أنتم عباداللّه نُصْبُ أمره و نهيه، و حملة دينه و وحيه، و أُمناء اللّه علي أنفسكم، و بُلغاؤه إلي الامم.

و زعيم حقٍّ له فيكم، و عهدٌ قدّمه إليكم.

و بقيةٌ استخلفها عليكم كتاب اللّه الناطق، و القرآن الصادق، و النور الساطع، و الضياء اللامع، بيِّنةٌ بصائره، منكشفةٌ سرائره، متجليةٌ ظواهره، مغتبط به أشياعه، قائدٌ إلي الرضوان اتِّباعه، مؤدٍّ إلي النجاة استماعه، به تُنال حجج اللّه المنوَّرة، و عزائمه المفسرَّة، و محارمه المحذَّرة، و بيِّناته الجالية و براهينه الكافية، و فضائله المندوبة و رُخصه الموهوبة و شرايعه (شرائعه) المكتوبة.

فجعل اللّه الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، و الصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، و الزكاة تزكيةً للنفس، و نماءً في الرزق، و الصيام تثبيتاً للإخلاص، والحج تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، و طاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً من الفُرقة (للفُرقة)، و الجهاد عزّاً للإسلام، و الصبر معونةً

علي استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحةً للعامة، و برَّ الوالدين وقايةً من السخط، و صلة الأرحام مُنماةً للعدد، و القصاص حقناً للدماء والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة و توفية المكاييل و الموازين تغييراً للبخس، و النهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، و اجتناب القذف حجاجباً عن اللعنة و ترك السرقة إيجاباً للعفة و حرَّم اللّه (1)الشرك إخلاصاً له بالرُّبوبية.

ف« اتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ» (2)

و أطيعوا اللّه فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنه « إِنَّمَا يَخْشَي اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» (3)

التفسير:

تُشير سيدة الإسلام عليه السلام في هذا القسم من الخطبة إلي أمورٍ مهمةٍ أيضاً، منها:

1 – تعد مسؤولية المسلمين في إبلاغ الرسالة و نشر الإسلام في العالم، والدفاع عن قوانين و تعاليم و قيم الدين الحنيف من المسؤوليات الخطيرة التي لو تقاعس المسلون عن أدائها كان حقّا عليهم أن ينتظروا العقاب والجزاء الإلهي، و أن يطردوا من ساحة رحمته الواسعة.

2 – نبهت إلي عظمة القرآن علي أنه كتاب ناطق و نور جلي وضوء مشع، حارب و بشدة ظلمات الجهل و التعصب و الخرافات.

ذلك الكتاب الذي ظاهره الجمال و النور، و باطنه العبرة و المعني8.

1– جاء في نسخة أخري«حرم الشرك».

2– – سورة آل عمران، آية 102.

3– – سورة فاطر، آية 28.

الغزير، و أدلته مقنعةً منجيةً.

ذلك القائد الذي يضمن لتابعيه النجاة، حيث دعاهم إلي جنةٍ أزلية.

فهو قائـد النجاة الـذي بيَّن بمنطقه الفصـيح أدلـة التوحيـد، و ثبت مباديء العقيدة ببراهينه النيرة، و أفصح عن البرامج العملية التي يحتاجها المرء في طريق تكامل الإنسانية، فشخص «المباح» من «المحظور»، «الجيد» من «الرديء» و «الحق» من «الباطل».

3 – أبـدعت في تبيان فلسـفة الأحكام من خلال عباراتٍ قصـيرة، فبـدأت بالإيمان حتي الوفاء بالنـذر، و من التوحيـد حتي ترك البخس في الميزان، فوصفت كلاً منها بجملةٍ و مقوله. فما أحلي تعبيرها«فجعل اللّه الإيمان تطهيراً لكم من الشرك».

يتضح من هذا التعبير أنَّ حقيقة معرفة اللّه و توحيده مكنونة في فطرة الإنسان، لهذا جاء الإسلام ليطهره من الملوثات العرضية التي تنتج عن طريق الشرك، كما تغسل الثياب البيض بعد اتساخها ليظهر لونها الأصلي.

شرع اللّه «الصـلاة» ليوطن بها روح التواضع في الناس، و يسـحب المتكبرين من منصـة الغرور، عن طريق الركوع و السـجود، و الدعاء في حضرة الخالق.

«الزكاة» تكون سـبباً في تحرير روح الإنسان من أسـر الـدنيا و تعلقه بزخرفها و أموالها، و تنميـة ثروات الأمـة من خلال تعزيز البنية المالية للمحرومين.

«الصيام» يجعل الإنسان مسيطراً علي هوي نفسه، و يثبت فيه روح الإخلاص، و يضفي علي أغصان وجوده براعم و زهور التقوي.

«الحجُّ» ذلك التجمع الإسـلامي العظيم الذي تثبت فيه أَسس الإسلام، و تعزز فيه قدرات المسلمين قي شتي المجالات الفكرية و العلمية و العسكرية و السياسية.

«العدالـة الاجتماعيـة» تغسل الأحقاد من القلوب، و تزيل الاضـطرابات و تقر التنظيم و عن طريق قبول قيادة الهداة المعصومين، يمنح اللّه المسلمين نظاماً اجتماعياً سالماً منتهجاً خط التوحيد، و يبعد عنهم النفاق و التفرقة.

كـذلك في مسائل الجهاد و الصبر و الاسـتقامة و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و ما يتعلق بمسائل القصاص و الالتزام بالتعهدات، و محاربة من يبخس الميزان و طهارة الحجور من الفجور و ترك شرب الخمر، فقد أشارت سيدتنا إلي كل ذلك مبينةً آثار و علاج كلٍّ منها.

5 – تعود سـيدة الإسـلام عليها السـلام مرةً أخري إلي مسألـة مسؤولية المسـلمين تجاه القرآن المجيد و الإسـلام، و تدعوهم إلي التقوي، مذكرةً إياهم بعواقب الأمور، حيث تصرُّ عليهم بمراقبة أعمالهم حتي يودعوا دار الفناء و هم مسلمون!.

كونوا علي حذر و إعملوا ما يجعلكم تموتوا مسلمين! نوروا أرواحكم و قلوبكم بنور العلم و المعرفة، لأن العلماء فقط يشعرون بالمسؤولية و يخافون اللّه سائرين علي خطّ التقوي.

المحور الرابع

إعلان موقفها من النظام الحاكم

النص:

ثم قالت أيها الناس إعلموا أنّي فاطمة، و أبي محمّد صلي الله عليه و آله أقول عوداً و بدأً و لا أقول غلطاً، و لا أفعل ما أفعل شططاً.

لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أنْفُسِكُم عَزيزٌ عَلَيْه ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بالمُؤْمِنينَ رَءُوفٌ رَحيمٌ» (1).

فإن تعزوه و تعرفوه تجدوه أبي دون نساءكم، و أخا ابن عمّي دون رجالكم، و لنعم المعزي إليه صلي الله عليه و آله .

فبلغ بالرسالة صادعاً بالنذارة، مائلاً عن مدرجة المشركين ضارباً ثبجهم، آخذاً بأكظامهم داعياً إلي سبيل ربِّه بالحكمة و الموعظة الحسنة، يكسر الأصنام و ينكت الهام، حتي انهزم الجمع و ولوا الدبر، حتي تفري الليل عن صبحه، و أسفر الحقُّ عن محضه، و نطق زعيم الدين، و خرست شقاشق الشياطين، و طاح و شيظ النفاق، و انحلت عقد الكفر و الشقاق و فهتف بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص.

1- سورة البراءة، آية 129.

و كنتم علي شفا حفرةٍ من النار، مذقة الشارب و نهزة الطامع، و قبسة العجلان، و موطيء الأقدام. تشربون الطرق، و تقتاتون الورق، أذلةً خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم.

فأنقذكم اللّه تبارك و تعالي بمحمدٍ صلي الله عليه و آله بعد اللتيا و التي، بعد أن مُنيَ ببهم الرجال، و ذؤبان العرب و مردة أهل الكتاب كلما أو قدوا ناراً للحرب أطفأها اللّه، أو نجم قرن للشيطان، أو فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفأ حتي يطأ صماخها بأخمصه، و يخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات اللّه، مجتهداً في أمر اللّه، قريبا من رسول اللّه، مشمرا ناصحاً، مجدا كادحا وأنتم في رفاهيةٍ من العيش، و ادعون فاكهون، آمنون تتربصون بنا الدوائر، و تتوكفون الأخبار، و تنكصون عند النزال، و تفرون عند القتال.

التفسير:

تضمن هذا القسم أيضاً حقائق كبيرة:

1 - بضعة النبي

تقوم بكشف هويتها للحاضرين قبل كلِّ شيءٍ، و تفرغ ما بأيديهم من حججٍ و أعذارٍ، حتي لا يدّعي أحد بإني لم أعرف بنت النبيّ صلي الله عليه و آله ، و إلا سارعت لنصرتها.

تركز بشكل خاص علي نسبتها للنبيّ صلي الله عليه و آله ، و تتكلم عن ارتباطها بعليٍّ عليه السلام ، ثم تؤكد علي أن ما أنطق به هو عين الحقيقة، لا أتحدت جزافاً، و لا ينطق لساني بغير حسابٍ ولو بكلمة، فاستمعوا جيداً لما أقول، و عوا مسؤوليتكم العظيمة تجاه هذه الحادثة!.

2 – الألم العميق

بعدها تذكر بعلاقة رسول اللّه صلي الله عليه و آله بهم و كيف كان يتألم لآلامهم و أنه كان شريكاً لهم في غمومهم، مستندةً علي الصفات الخمسة التي وصف القرآن المجيد نبيه بها في إحدي آياته الشريفة:

«لَقد جاءَكُم رَسولٌ مِن أنفسِكُمْ عزيزٌ عليهِ ما عِنتُّمْ حَريصٌ عليْكُم بالمؤمنينَ رؤوفٌ رحيم» (1)

تلك الصفات التي شاهدها و عرفها الأصحاب في رسول اللّه صلي الله عليه و آله .

3 – الجهود الشاقة للنبي صلي الله عليه و آله

ثم تذكر بالمعاناة الجسمية التي مرت بالرسول صلي الله عليه و آله و كيف أنه قام منفرداً بإبلاغ رسالة ربه العظيمة، دون أن يجد الانحراف سبيلاً إلي نفسه، مرغ أنوف المتعنتين بالتراب، و حطم أدمغة المتكبرين، و كان سلاحه المنطق و الدليل و الموعظة و الحكمة لمن طلب الحق و استقصي عنه، إلي أن كسر شوكة المشركين، و دمر معابد الأصنام، و تفرَّق أعداء اللّه، فانزالت الظلمات و شعَّ النور، و فرت الخفافيش، و تمكن جمع من الناس أن يرددوا نغمة التوحيد« لا إله إلاّ اللّه» علناً في ديار الكفر.

4 – الماضي المشين

تقوم فاطمة الزهراء عليها السلام بتذكير هم بذلك اليوم الذي كانوا فيه مجموعةً9.

1– سورة البراءة، آية 129.

مؤمنةً صـغيرةً تتصارع في وسط طوفانٍ صـعبٍ و موحش، فمن ناحيةٍ تداعب وسوسات مراحل الشرك و عبادة الأصنام مخيلا تكم أحياناً، و تجركم إلي شـفا جرف نـار جهنم، و من ناحيـةٍ أخري فـإن أعـدائكم الأقوياء الظالمين قـد أحاطوكم من كلِّ جانب، يتربصون بكم الـدوائر ليسـحقوكم بأيـديهم و أرجلهم بطرفـة عين، و كنتم تحت حصـارٍ رهيب، ليس لكم إلاـ المـاء الآـسن و الغـذاء الرديء، تخافون مصـيركم المجهول.

لكن، شـاء اللّه أن يكسـر أسـنان هؤلاء الـذئاب المصاصـين للـدماء، و يضـرب رؤوس هـذه الأفاعي بالحجر، و يسـلط هـذه الفئـة القليلة المستضعفة عليها، و هو علي ما يشاء قدير فعال لما يريد.

لم يمضِ وقت حتي خمدت نيران الفتن، و سـكنت الأعاصـير، و فرت العفاريت، و اختفي اللصوص و قطاع الطرق الذين كانوا يسـتفيدون من ظلمات ليالي الجاهلية بعد أن أشرق العالم بنور شمس الإسلام.

نعم، ذكرت فاطمة عليها السـلام الحاضـرين بتلك اللحظات الحساسة التي أثقلت كاهل المؤمنين و جعلت يومهم كقرنٍ من الزمان، حتي لاـ يتنـاسوا نِعَمَ اللّه الجزيلـة، و لا ينكروا المواهب الإلهيـة، و يسـعون في اسـتمرارية و ديمومـة هـذا الخط الإلهيِّ و الرساليِّ العظيم و لا يستسلموا لما يروجه و يحيكه الأعداء.

5 – خدمات عليّ عليه السلام :

تـذكر ابنـة النبي صـلي الله عليه و آله في وسط حـديثها بما قدمه أمير المؤمنين علي عليه السـلام من خدماتٍ لهذه الأمة، و كيف أن النبيَّ صلي الله عليه و آله كان يرسله لمواجهة الحوادث الخطرة و التصدي لها، و هو يقوم لها مؤثراً بنفسه، مضحياً و

فـدائياً، فينقضُّ علي الفتن فيخمـدها و يعود منتصـراً، أهوي برؤوس المتكبرين إلي الأرضٍ بسـيفه، و مرغ هامات الطواغيت بالتراب، و كان ناصراً و مساعداً للرسول صلي الله عليه و آله و حامياً و مدافعاً في كلِّ مكان.

نعم فمثل هذا الفرد العظيم يستطيع أن يُديم خطَّ هذه الثورة الكبيرة و يمنع عنه الانحراف.

ص: 126

المحور الخامس

الردة بعد النبي صلي الله عليه و آله

النص:

فلما اختار اللّه لنبيه صلي الله عليه و آله دار أنبيائه و مأوي أصفيائه ظهر فيكم حسيكة النفاق، و سمل جلباب الدين، و نطق كاظم الغاوين و نبغ خامل الأقلين و هـدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، و أطلع الشـيطان رأسه من مغرزه، هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مسـتجيبين، و للغرة فيه ملاحظين، ثم استنهضـكم فوجـدكم خفافاً و أحمشـكم فألفاكم غضاباً، فوسـمتم غير إبلكم، و أوردتم غير شـربكم، هـذا و العهد قريب، و الكلم رحيب، و الجرح لمـا ينـدمل، و الرسول لمـا يقـبر، ابتـداراً زعمتم خوف الفتنـة، «ألاـ في الفِتْنَةِ سَقَطوا و إنَّ جَهَنَّمَ لُحيطَةٌ بالْكافِرينَ» (1) فهيهـات منكم؟ و كيف بكم؟ و أنَّي تؤفكون؟ و كتـاب اللّه بين أظهر كم أموره زاهرة] ظـاهرة [و أعلاـمه بـاهرة، و زواجره لايحة، و أوامره واضحة، قد خلفتموه وراء ظهوركم أرغبةً عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟ بئس للظالمين بدلا.

«وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (2)

ص: 127

1- سورة التوبة، آية 49.

2- سورة آل عمران، آية 85.

التفسير:

1 – التآمر و الانحراف

تشير سيدة الإسلام عليها السلام في هذا القسم من خطبتها إلي بقايا أحزاب الجاهلية و المنافقين الذين ضُيِّقَ الخناق عليهم في زمن رسول اللّه صلي الله عليه و آله فأخفوا رؤوسهم في جحورها، و إختبأوا في أو كارهم.

و فجأةً خرجت حشرات الأرض هذه من جحورها بعد وفاة رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، و ظهرت الخفافيش التي توارت عن الأنظار بسبب هيبة وجود النبي صلي الله عليه و آله و أصبحت تعبث في الميدان!، و بدأت التحركات المشكوكة و عادت خطوط الانحراف تظهر من جديد و دخل المتلاعبون بالسياسة ساحة المعركة!.

2 – تلبية البعض لدعوة الشيطان!

من هنا تبدأ حسرة بنت النبي صلي الله عليه و آله العميقة بسبب تلبية جمع غفير لدعوة الشيطان، سائرين خلف أصوات البوم المشؤومة، فأصبحوا آلةً بيد حزب الشيطان و المنافقين الذين عميت قلوبهم، و رغم أن كفن الرسول صلي الله عليه و آله لم يزل مبتلاً و لم يزل صوت آذان مؤذنه يدوي في المسجد و صرخة تكبيره ترن في القلوب حتي ظهرت حركات الردّة.

باستثناء البسطاء و مريضي القلوب لإنَّ مجموعةً قد اتخذت من التقية حجة لسكوتهم خوفاً من أن الكلام يوقع الفرقة و الاختلاف بين الجمع، و صاروا متفرجين لهذا المشهد أو موافقين لأحداثه، حتي لا يبرز اختلاف في حين أن موقفهم هذا هو السبب في ذلك الانشقاق و الانحراف الكبيرين!.

3 – الاعتصام بالقرآن

ثم يصرخ المنادي الإلهي المتمثل بفاطمة الزهراء عليها السلام بهم منبهةً:

أين أنتم؟ و إلي أين تولون أيها الضالون؟ فأنها تـذكر هم بحـديث أبيها صـلي الله عليه و آله : «إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فمن جعله أمامه قاده إلي الجنة و من تركه ساقه إلي النار!».

تصـيح بهم بأن لا تتركوا القرآن، فأوامره و نواهيه واضـحة و إرشاداته في مسألة الخلافة بعد النبي صـلي الله عليه و آله بائنة، كما أشار إلي ما سيحصل بعد فاته، خلاصة القول أنه لم يُبقِ شيئاً الّأ و أظهر خفاياه.

4 – إنذار أصحاب النبي صلي الله عليه و آله

سيدة الإسـلام عليها السـلام صـرخة الزمان المدوية، تحذرهم قائلةً: إن تركتم تراث النبيِّ صـلي الله عليه و آله العظيم«القرآن» و تمسكتم بغيره، و قدمتم أفكاركم العاجزة علي تعاليم الإسـلام و جعلتم أنفسـكم حكاماً علي القرآن، بذريعة المصـلحة و خوف الفتنة لا محتكمين لأوامره، عندها سيصيبكم الضرر الأكبر و الخسران المبين.

سوف لن تخمد نار الفتنة فيكم، و سـتبلون بما تخافونه، و ستختفي روح الإسلام من بينكم، فلن يبقي سوي القشر دون اللب و المظهر دون المحتوي.

المحور السادس قصة غصب فدك و حجج الغاصبين وتفنيدها

النص:

ثم لم تلبثوا إلاـ ريث (إلي ريث) أن تسكن نفرتها و يسلس قيادها، ثم أخذتم تروون و قدتها و تهيجون جمرتها، و تستجيبون لهتاف الشيطان الغوي و إطفاء أنوار الدين الجلي و إخماد سنن النبي الصفي.

تسرون حسواً في ارتغاءٍ، و تمشون لأهله و ولده في الخمر و الضراء، و نصبر منكم علي مثل حز المدي و وخز السنان في الحشا.

و أنتم الآن أتزعمون أن لا إرث لنا؟

أفحكم الجاهلية يبغون و من أحسن من اللّه حكماً لقومٍ يوقنون؟ (1)

أفلا تعلمون؟ بلي تجلي لكم كالشمس الضاحية أني ابنته.

أيها المسلمون أأغلب علي إرثيه؟ يا ابن أبي قحافة! أفي كتاب اللّه أن ترث أباك و لا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فريّا.

أفعلي عمدٍ تركتم كتاب اللّه و نبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول:

1- سورة المائدة، آية 5.

«وَ وَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ» (1).

و قال فيما اقتص من خبر يحيي بن زكريا إذ قال:

«فَهَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُ مِن آلِ يَعْقُوبِ» (2)

و قال:

«وَ أُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَي بِبَعْضٍ في كتاب اللّه» (3).

و قال:

يُوصِيكُمُ اللّه في أَوْلادِكُم لِلذّكَرِ مِثلُ حَظِّ الأنثَيَيْنِ» (4).

و قال:

«إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ب ِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَي الْمُتَّقِينَ» (5)

و زعمتم أن لا حظوة لي و لا إرث من أبي؟ و لا رحم بيننا؟ أفخصكم اللّه بآيةٍ أخرج منها أبي؟ أم هل تقولون إن أهل ملتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا و أبي من أهل ملةٍ واحدةٍ أم أنتم أعلم بخصوص القران و عمومه من أبي و ابن عمي؟

فدونكها مخطومةٌ مرحولة، تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم اللّه و الزعيم محمدٍ صلي الله عليه و آله ، و الموعد القيامة و عند الساعة يخسر لمبطلون و لا ينفعكم إذ تندمون،

« لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» (6).7

1- سورة النّمل، آية 16.

2- سورة مريم، آية 5-6.

3- سورة الأنفال، آية 75.

4- سورة النساء، آية 11.

5- سورة البقرة، آية 180.

6- سورة الأنعام، آية 67.

« مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلَّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ» (1).

التفسير:

1 - إحياء المذهب الجاهلي

بلغ حديث فاطمة عليها السلام أوجه في هذا القسم مدلّاً علي ألمٍ و هيجانٍ شديدين، فحرقة قلبها متأتية من ظهور أحكام الجاهلية مرةً أخري حيث أن الأنثي لم تكن لتورث في زمن الجاهلية أما الإسلام فقد أبطل ذلك بعد مجيئه مقراً بحصة و سهم جميع الأقارب في إرث المسلم، استناداً إلي ذلك فإن الموضوع لم يكن مقتصراً علي مسألة «فدكٍ» فحسب، بل إن المهم في الدرجة الأولي هو خطر إحياء سنن الجاهلية و محو سنن الإسلام، لذا قامت في هذا القسم بتوجيه اللوم الشديد لهم، مكثفةً حملاتها عليهم.

الأعجب من كل ذلك هو تعجيلهم في إنجاز هذا العمل بشكلٍ أدرك معه الجميع أن مسألة «غصب فدك» لم تكن مسألةً عادية، فقد سعوا إلي هذا الغصب قبل أن يُحكموا قبضتهم علي الخلافة، و بتعبيرٍ آخر فإنهم فكروا بذلك قبل أن تغيب شمس ذلك اليوم و هذه نقطة مهمة في فهم عمق هذه المؤامرة الكبيرة.

2- أدلة الخصم

أشارت بضعة النبي صلي الله عليه و آله في هذه الخطبة البارعة و الحاكمة العالمة9.

1- سورة هود، آية 39.

بصورةٍ ضمنيّةٍ إلي دلائلهم في ذلك الغصب، حيث ادعوا أن الرسول صلي الله عليه و آله قال «نحن معاشر الأنبياء لا نورث».

بعدها قامت بالرد علي تلك الحجج بأجوبةٍ منطقيةٍ و قاطعةٍ مستدلةً بشواهد من عموم القرآن و خصوصه، فتثبت و من خلال عددٍ من آيات الكتاب زيف هذا الحديث الموضوع الذي يجب ضربه بعرض الحائط!

3- فاطمة عليها السلام تقطع جميع الاعذار

لقد استخدمت هذه العالمة الكبيرة حربة الإستدلال في هجومها علي خصمها بشكلٍ لم تبق له سبيلاً للفرار.

تقول عليها السلام إذ كان عذركم هو الحديث الموضوع «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»؟

فإن الرد عليه هو ما نصت به آيات القرآن التي ذكرتها لكم، و إذا كان عذركم منعنا إرثنا فاعلموا أن جميع الأبناء يرثون آباءهم و أمهاتهم في الإسلام، باستثناء من لم يكن علي دين و مذهب أبيه، بمعني أن الأبناء الكفرة (1) لا يرثون من أبٍ و أمٍّ مسلمين، فهل تعتقدون باختلاف ديني و مذهبي عن دين و مذه بوالدي؟!!

و إذا كانت رواسب الجاهلية و أحكامها التي تنص علي عدم توريث البنات قد علقت في أذهانكم، فإن هذه الخرافات قد تعطلت و لا سبيل للعودة إلي ليالي الظلمة بعد بزوغ الفجر.م.

1- الكافر، كلُّ مَن دانَ بغير الإسلام.

4 – هل أنتم أعلم بالقرآن أم أهل بيت الوحي عليه السلام ؟

تغلق فاطمة الزهراء عليها السلام هذا الطريق عليهم أيضاً حيث يقولون نحن نفهم من القرآن كذا و كذا، فتخاطبهم بالقول: أي مكانٍ من القرآن؟ و بأي تفسير؟ و من هو أجدر و أليق لهذا الأمر من ابن عمي علي عليه السلام الذي تربّي في أحضان الوحي، و هو من كُتّابه، كما أنه سمع القرآن و تفسيره من شفتي الرسول صلي الله عليه و آله ؟

الحقية هي أن القرآن قد نزل في بيتنا و «أهل البيت أدري بما في البيت».

خلاصة القول تشير إلي قضية وراثة سليمان لأبيه داود و إرث يحيي عليه السلام من أبيه زكريا عليه السلام الذين كانوا جميعاً من الأنبياء الكبار، و تقول عليها السلام علي خلاف هذه الرواية الموضوعة –يصرح القران بأن كلاً من الأبناء قد ورث أباه، و نعلم جيداً أن كل روايةٍ تخالف القرآن يسقط اعتبارها.

و تستدل أيضاً بعموم القرآن، حيث تنص الآية الشريفة « يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُم لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ» (1) و كذلك « أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضٌ هُمْ أَوْلَي بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ »، (2) فتستفهم قائلةً: هل يمكن لخبر الواحد المخالف لعموم القرآن و خصوصه أن يكون ذا قيمةٍ و أهميةٍ ولو بمقدار سم الخياط في محكمة العدل الإسلامي؟

بعدها تعدد جميع الطرق التي تمنع تحجب الإرث و من ثم تقوم بتفنيدها.5.

1– سورة النساء، آية 11.

2– سورة الأنفال، آية 75.

5 – التريث و التربص

لكي لا يتصور الحاضـرون أن تمسـكها بفدكٍ نابعٌ من كونه متصـفاً بصـفةٍ ماديةٍ دنيويةٍ، لا بصـفةٍ إلهية، فقد أضافت هذه السـيدة المجاهدة قائلـة:«الآن و بعـد أن آل الحل إلي ما آل فخذوها طرّةً، و افعلوا ما بدا لكم، لكن اعلموا أنكم سـتقفون في محكمةٍ عظيمةٍ تختلف عن سائر المحاكم الدنيوية، فاللّه «سبحانه و تعالي» هو الحاكم فيها، و الرسول صلي الله عليه و آله هو المدعي عليكم في تلك المحكمة، و موعدها يوم القيامة«يوم البروز» يوم تتضح كل خافية!».

فإن أعددتم جواباً لذلك اليوم فتوكلوا علي اللّه، و إلا فاستعدوا للجزاء الإلهي.

حينها ستندمون حمتاً علي ما فعلتم ولكن سوف لن ينفعكم هذا الندم أبداً لأن ملف الأعمال قد أغلق، و لا سبيل للرجوع إلي الماضي.

ص: 135

المحور السابع

طلب نصرة الأنصار

النص:

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت:

يا معشر الفتية(النقيبة) و أعضاد الملة و حضنة الإسلام، ما هذه الغميزة في حقي و السنة عن ظلامتي.

أما كان رسول اللّه صلي الله عليه و آله أبي يقول: «المرء يحفظ في ولده».

سرعان ما أحدثتم و عجلان ذا إهالة، و لكم طاقةٌ بما أحاول و قوةٌ علي ما أطلب و أزاول.

أتقولون مات محمّد صلي الله عليه و آله فخطبٌ جليلٌ إستوسع و هنه و استنهر فتقه، و انفق رتقه.

و أظلمت الأرض لغيبته، و كسفت النجوم لمصيبته، و أكدت الآمال، و خشعت الجبال، و أضيع الحريم، و أزيلت الحرمة عند مماته.

فتلك و اللّه النازلـة الكبري، و المصـيبة العظمي، لا مثلها نازلةٌ، و لا بائقةٌ عاجلةٌ، أعلن بها كتاب اللّه جلَّ ثناؤه في أفنيتكم و في ممساكم و مصبحكم هتافاً و صراخاً و تلاوةً و ألحاناً، و لقبله ما حل بأنبياء اللّه و

رسله حكمٌ فصلٌ، و قضاءٌ حتمٌ.

«وَمَا مُحمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَي أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَي عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاًوَسَ يَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ» (1).

إيهاً بني قيلة! أأُهضم تراث أبي و أنتم بمرأي مني و مسمعٍ و منتديً و مجمع؟ تلبسكم الدعوة و تشملكم الخبرة و أنتم ذو العدد و العدة و الأداة و القوة، و عذركم السلاح و الجنة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، و تأتيكم الصرخة فلا تغيثون(تعينون)، و أنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير و الصلاح، و النخبة التي انتخبت و الخيرة التي اختيرت.

قاتلتم العرب، و تحملتم الكد و التعب، و ناطحتم الأمم و كافحتم البهم، لا نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتي إذا دارت بنا رحي الإسلام و در حلب الأيام، و خضعت نعرة الشرك، و سكنت فورة الأفك، و خمدت نيران الكفر، و هدأت دعوة الهرج، و استوثق(و استوسق) نظام الدين!

فأني حرتم بعد البيان؟ و أسررتم بعد الإعلان؟ و نكصتم بعد الإقدام؟ و أشركتم بعد الإيمان؟

«أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ» (2).

ألا قد أري أن قد أخلدتم إلي الخفض، و أبعدتم من هو أحق بالبسط و3.

1- سورة آل عمران، آية 144.

2- سورة التوبة، آية 13.

القبض، قد خلوتم بالدعة و نجوتم من الضيق بالسعة، فمججتم ما وعيتم، و دسعتم الذي تسوَّغتم.

ف «إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ» (1).

ألا و قد قلت ما قلت علي معرفةٍ مني بالخذلة التي خامر تكم و الغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، و نفثة الغيض(الغيظ) و خور القناة و بثة الصدر و تقدمة الحجة.

فدو نكموها فاحتقبوها دبرة الظهر نقيبة(نقبة) الخف، باقية العار، موسومةٌ بغضب اللّه و شنار الأبد، موصولة بنار اللّه الموقدة التي تطلع علي الأفئدة، فبعين اللّه ما تفعلون.

«وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ» (2)

و أنا ابنة نذيرٍ لكم بين يدي عذابٍ شديدٍ، فاعملوا«إِنَّا عَامِلُونَ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ» (3)

التفسير:

1 - دور الأنصار الفاعل في تحقيق أهداف الإسلام

تشيد سيدة الإسلام عليها السلام في هذا القسم من حديثها بطائفة الأنصار، موصفةً إياهم بالمجموعة المختارة و ساعد الإسلام القوي و حامي الرسول صلي الله عليه و آله المخلص، كما أظهرت لهم الشكر و الثناء بسبب ما بذلوه في خدمة الرسول صلي الله عليه و آله منذ دخوله المدينة و ما تحمَّلوه من عناءٍ و مصاعب2.

1- سورة ابراهيم، آية 8.

2- سورة الشعراء، آية 227.

3- سورة هُود، آية 121-122.

قبل ذلك في سبيل الإسلام.

نعم، كان للأنصار دورٌ مؤثرٌ في تقدم الإسلام في الحرب و السلم و في جميع مراحله، و بالرغم من ذلك فقد كانوا أقل توقعاً و طمعاً من المهاجرين، و ربما طوي تاريخ الإسلام مسيراً أفضل فيما لو صُحّيِّرت لهم الأمور. مما لا شك و لا ريب أن في المهاجرين أشخاصاً مخلصين لم يتوانوا أبداً في إيثارهم و تضحياتهم، لكن تغلغل المتلاعبين بالسياسة في أو ساطهم قد غر قلب الوضع كلياً

2 – هجوم فاطمة الزهراء عليها السلام علي الأنصار

لكن سخط سيدة الإسلام عليها السلام عليهم هو لماذا التزمت هذه السواعد القوية و أصحاب الرسول صلي الله عليه و آله القدماء الصمت في مقابل الظلم الذي حل بآل بيته، فقد أقروا بسكوتهم صحة تلك المظالم، و لم يراعوا ذمة النبي صلي الله عليه و آله في أهل بيته، و الأهم من ذلك مؤازرتهم للغاصبين و موقفهم الشائن المساعد من تغيير محور الخلافة بعد اشتباكٍ قصيرٍ راموا فيه تحقيق مصالحهم، حيث قبضوا ثمناً لذلك السكوت، و ذلك ذنبٌ لا يغتفر!

3 – موت النبي صلي الله عليه و آله لا يعني موت الاسلام

بين القرآن المجيد من ناحيةٍ و الرسول الكريم صلي الله عليه و آله من ناحيةٍ أخري حقيقةً مهمةً ألا و هي أن الاسلام لا يعتمد علي شخصٍ معينٍ، فهو دين أزلي مستمرٌ إلي يوم القيامة و لا ينتهي بوفاة النبي الكريم صلي الله عليه و آله ، لأنه كان ثورة قائمة علي أساس ديني، دينٌ إلهيٌ سماوي، الدين الذي يؤمّن

احتياجات الناس علي مر العصور، فلابد لهذا الدين أن يبقي و يدوم.

ولكن رغم كل ذلك، فإن قسماً من الناس ممن ينقصه بُعد النظر و تهمّه المظاهر، يتصور أن الضربة الموجعة و المصيبة المؤلمة التي ألمَّت بالعالم الإسلامي بعد وفاة النبي صلي الله عليه و آله و الفراغ الذي نتج عن فقد المحيط الإسلامي لهذا القائد العظيم قد أودي بحياة الإسلام، و انطوت أيامه و أحداثه! مما حدي بهم ذلك إلي غلق شفاههم في مقابل تلك النعرات الجاهلية.

تصرخ فاطمة عليها السلام مذكرةً إياهم بآيات القرآن التي تتحدث عن أزلية و بقاء الإسلام، تُنبّه الغافلين و توقظهم من غفلتهم، و تعرّف المسلمين مسؤولياتهم الثقيلة في تلك المرحلة الحساسة.

4 – الصمت في مقابل تعطيل الأحكام الإسلامية؟

توبّخُ في مقطعٍ آخر من حديثها عليها السلام الأنصار بشدّة، بأن سكوتكم علي أحداث «فدك»، الاحداث التي تُعد حلقةً من سلسلة انحرافاتٍ متواصلة، و شرارةً من شعلةٍ متوهّجة، و قطرة من تيارٍ جارفٍ، سيؤدي ذلك في النهاية إلي إحياء الطيف المناهفي للإسلام!

يُظهر الناس حيرتهم متسائلين: إذا كان صحيحاً ما يقال من أن قانون الإسلام هو الحق، فلِم لا يسري حكمه علي أقرب أقرباء النبي صلي الله عليه و آله ؟ فعند ما يسحقوا مثل هذا الحكم الصريح و أنتم تقرّون ذلك بسكوتكم، صار من السهل عليهم أن يسحقوا سائر الأحكام الإسلامية!

يجب أن تنظروا لهذه المسألة علي أنها «عمليةٌ مدبّرة» لا بعنوان أنها

«واقعة عرضية»، و تصوروا ما هي الأحداث الأخري التي خُبأت خلف هذه الحادثة؟ و ما ثورتي و صرختي إلا لهذا السبب!

لا تتصوّروا أن «حمايتكم للمظلومين من أمثالي» توجد الفرقة بين صفوف الأمة الإسلامية، بل علي العكس، فإن سكوتكم يثير الغرابة والدهشة، فلو ادّعيتم الضعف و العجز فقد كذبتم، فقيكم العدد و العدة منذ البداية، و هي الآن أكثر، إضافةً إلي ذلك فلما ذا تلقون بآيات القرآن الصريحة التي تنص علي « أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ» (1) خلف ظهوركم؟ و تخافونهم بدل أن تخافوا اللّه؟

5 – الخلود إلي الدعة

بعدها تغوص هذه المعلمة القديرة في أعماقهم لتستخرج سبب سكوتهم الأصلي، فتشير إلي أن المسألة هي أن استولي عليكم حب الدعة و طلب الراحة، و استسلمت أجسادكم للإستراحة، فرغم أنكم شاهدتم بأعينكم تنحية و تبعيد من هو أحق و أليق بالخلافة من غيره عنها إلا أنكم التزمتم جانب الصمت؟

نعم، تستمر عجلة الثورة إلي الوقت الذي يحتفظ الأشخاص بالروح الثورية و لم يخضعوا لميولهم الدنيوية، و إلا ركعوا أمام المصاعب و المشاكل، غير مبالين بما يمر بهم من حوادث مرّة، و بالتالي بخبت نور الثورة!3.

1– سورة التوبة، آية 13.

6 – النكوص عن النصرة

تمتلك هذه السـيدة الشـجاعة بصيرةً نافذةً في أدق الأمور، فهي تميط اللثام عن حقائق هامة، فتخاطب طائفة الأنصار في هذا المقطع مشيرة إلي هذا المعني: غايتي هي إتمام الحجة عليكم لا غير، فليس لي فيكم أملاً يُرتجي، فبعد أن التزمتم الصمت في مسألة «الخلافة» كان من الطبيعي أن ترفعوا نفس الشـعار في مسألة «فدك»، لكن التاريخ الإسلامي سيسجل حديثي لهذا اليوم، و ستحكم الأجيال القادمة فيما بيننا، هذا بالإضافة إلي أنني أردت أن أزيل عن قلبي عُقد الهم، و ازيح غيض صدري حتي يعلم الجميع ما عانيت من الالم!

7 – البشارة بالعذاب

تشـير بطلة الإسلام في هذا المقطع إلي نتيجة أفعالهم، فتقول منبهةً إياهم: أتظنون أنّ ثمن هذا لسكوت، و طلب الراحة ذاك، و هذا الموقف المتفرّج، و هذه اللامبالاة سـيكون رخيصاً بل ستقطفون ثمارها المُرة في هذه الدنيا علي أيد حكوماتٍ جائرة –مثل بني أمية و بني العباس– و التي سوف لن ترحم أعقابكم و لن تتورع عن هتك القرآن و الاسلام.

8 – امتداد إنذار النبي صلي الله عليه و آله

تقول سيدة النساء فاطمة عليها السلام نفس ما كان يقوله الأنبياء للمجرمين، حيث تنذرهم:

« إِنَّا عَامِلُونَ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ». (1)

أنتم تنتظرون أن يقع بآل بيت النبي صلي الله عليه و آله ظلماً أكبر، و نحن ننتظر فيكم عقاب اللّه المؤلم و المهلك!2.

1- سورة هود، آية 121-122.

الخطبة الثانية لسيدة الإسلام فاطمة الزهراء عليها السلام

اشارة

ص: 145

الخطبة المؤلمة في نساء المدينة

ألقت سيدة النساء عليها السلام هذه الخطبة و هي علي فراش المرض، ذلك المرض الذي لم تشف منه أبداً، و منه عرجت روحها الطاهرة.

كانت خطبتها الأولي في مسجد الرسول صلي الله عليه و آله و هي في حالةٍ صحية جيدة (1)، و بحضور جمعٍ من رجال المهاجرين و الأنصار، و كانت هذه الخطبة في مقابل نساء المهاجرين و الأنصار في داخل بيتها و علي فراش المرض.

رغم أن المخاطب قد اختلف، و الزمان و المكان قد تغيّرا، و الحال قد تردّي، إلا أن لحن الخطبتين ينم و بوضوح عن روحيةٍ عاليةٍ مملوءةٍ بالعلم و المعرفة، مفمعةٍ بالإيمان وحب اللّه، يفيض من جنبيها ألمٌ و حزن، و قد تميزت كلا الخطبتين بلحنٍ بليغٍ و ساحقٍ و أخّاذٍ و قاطعٍ و شجاع، لكن لحن الخطبة الثانية التي هي موضوع بحثنا حالياً كانت أشد تنكيلاً بالظالمين و أكثر حرقةً و ألماً و غماً.

لقد كانت هذه الخطبة التي صدرت من قلب بنت الرسول صلي الله عليه و آله المتألم بمثابة رسالة الهموم و الاحزان.

1- كما ورد شرحه في الخطبة الأولي، فإن ستاراً قد أُسدل ليحجب النساء، ثم أنها كانت تتوسط جمع النساء اللاتي رافقنها.

الهم الذي نغض روحها و نخر عظامها، و أشعل نيران الحرقة في كيانها، و لذلك نري أن خطبتها اتخذت طابعاً ملتهباً دموياً لأنها نبعت من قلبٍ محترقٍ فاض بدم الأسي و الحسرة.

من عجائب هذه الخطبة هي أن هذه السيدة الجليلة عليه السلام قد لاقت الكثير من الظلم العنيف في الفترة الواقعة ما بين وفاة أبيها صلي الله عليه و آله و استشهادها عليه السلام ، ذلك الظلم الذي كان سبب مرضها العصيب، و رغم أن سؤال نساء المدينة عند عيادتها كان يدور حول حالتها الصحية، و عادةً يشكو المريض بعضاً من آلامه إن لم يكن حديثه كله مختصاً بحالته الصحة، رغم كان ذلك فإنها لم تورد في حديثها أي كلمةٍ عن حالها و مرضها، بل كان حديثها منصباً علي مسألة غصب الخلافة و ظلامة عليٍّ عليه السلام ، و الأخطار التي ستمر بالأمة الإسلامية نتيجة هذا الإنحراف.

عجباً لها، فلم تذكر في حديثها شيئاً عن مرضها، فكل ما قالته كان عن ألم زوجها علي عليه السلام و عن مشاكل العالم الإسلامي.

نعم...لقد كانت روح الزهراء عليها السلام أرفع من أن تتكلم عن نفسها و آلامها – رغم أنها كانت كبيرة –بل و أجلُّ من أن يوصف علو شأنها، فتكلمت فقط عن إمامها وزوجها المحبوب علي عليه السلام و آلامه.

لم تكن قلقة عي نفسها، بل كانت قلقةً علي الأمة الإسلامية و مصيرها المشؤوم و المؤلم.

يفكر المرء عادةً في آخر لحظات حياته بنفسه و مشاكله و آلامه، لكنّ المدهش أن فاطمة عليها السلام لم تورد علي لسانها في هذه الخطبة الطويلة شيئاً من ذلك، و لا حتي بجملةٍ واحدة.

و هذا أكبر دليل علي عظمة فاطمة عليها السلام و مقام تضحيتها و إيثارها.

و في هذا عبرة لكل الأحرار الهادفين و لكل المضحين و الفدائيين في تاريخ البشرية.

بلي فقد كانت دائماً –و إلي آخر لحظةٍ من حياتها الشريفة المملوءة بالآلام و الهموم –شمعةً تحترق لتنير لمن حولها و تنجّي الضالين منهم و تدافع عن الحق و العدالة.

تحـدّثت في خطبة فدك (الخطبة الأولي لسـيدة النساء) عن كلٍّ من التوحيد، النشوء، المعاد، فلسـفة الأحكام، و الأحداث التي رافقت بعثة النبي صـلي الله عليه و آله ، و بركات وجوده، و مسألـة غصب الخلافـة، و مصـير المسـلمين، و إن هي تحـدثت عن «فدك» فذلك لدورها المؤثر في كونها دعامة ماليةً لمسألة الخلافة و كذا سائر مسائل الإسـلام السياسـية، و هذا ما دعي الأعداء إلي تضـييق الخناق علي آل بيت النبي صلي الله عليه و آله و تحطيم قدراتهم بانتزاع «فدك» من أيديهم، فأرادت إسترجاعها منهم.

لكنَّ سـيدة النساء عليها السـلام ركزت في خطبتها الثانيـة «خطبة نساء المهاجرين و الأنصار» حديثها علي محور الخلافة و الإمامة فقط، و بالرغم من معاناتها للكثير من الظلم و الجور و رغم أن الفرصـة كانت سانحةً للمطالبة بحقها المغصوب، إلا أنها لم تطالب بأي شـيءٍ بل و لم تنطق بأية شكوي، فكل ما قالته كان عن عليٍّ عليه السلام ، و عن الخلافة و عن مصالح المسلمين.

يُعدُّ «التسليم المطلق» من المقامات العالية التي يتحلي بها أولياء اللّه.

و هذا يعني أن يسلك إلي اللّه طريق الحق و العدل الذي ينسي المرء فيه نفسه، فلا يري غير اللّه.

لا يأتمر إلا بأمره.

لايرجو إلا رضاه.

لايفكر إلا بما يريده.

فالمرحلة الأولي هي الإسـلام، ثم الإيمان و بعد ذلك الرضا، و من ثم يأتي دور التسـليم المطلق، و لهذا المعني يشير اللّه سبحانه و تعالي في محكم كتابه الحكيم:

« قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ» (1)

و يقول أيضاً:

« فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّي يُحَكِّمُوكَ فِيَما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً» (2).

ثم يقول:

« إِنَّما نُطْعِمُكُم لِوَجْهِ اللّه لا نُرِيدُ مِنْكُم جَزاءً وَ لا شُكُوراً» (3)

إن مقام الإيمان و الرضا و التسـليم الذي تتحلي به هذه السيدة جعلها تتناسي و تتجاهل آلامها و همومها المرهقة و تتحدث عن رضا اللّه، و عن رسوله صلي الله عليه و آله و عن وليّه، و عن مستقبل الإسلام و المسلمين.

و يسـرنا بعـد هذه المقدمة القصـيرة عن الخطبة و فحواها، أن نتّجه صوب نصـها، فنجعلها في خمسة أقسام، لكنه ينبغي أن نتعرف أولاً علي وثائق و أسناد هذه الخطبة.9.

1- سورة الحجرات، آية 14.

2- سورة النساء، آية 65.

3- سورة الدهر، آية 9.

مناقشة أسناد خطبة سيدة النساء عليها السلام

وردت هذه الخطبة في مختلف مصادر العامة و الخاصة، سنذكر منها المصادر السبع التالية:

1- كتاب «الاحتجاج» للمرحوم «الشيخ الطبرسي» صلي الله عليه و آله . (1)

2- كتاب «كشف الغمة» المشهور للكتاب «علي بن عبسي الأربلي» نقلاً عن كتاب «الصحيفة» (2)

3- «بحار الانوار» للمرحوم «العلامه المجلسي» ينقل هذه الخطبة و بأسنادٍ متعددة (3)

4- كتاب «معاني الاخبار» للمرحوم «الشيخ الصّدوق» يورد هذه الخطبة مع ذكر سندها في آخرها نقلاً عن عبداللّه بن حسن عن أمه فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام (4).

5- و ذُكرت في نفس المصدر بسندها عن علي بن أبي طالب عليه السلام (5)

6- كتاب «الأمالي» للمرحوم «الشيخ الطّوسي».

7- كتاب «شرح نهج البلاغة» للعالم السنّي المعروف «ابن أبي الحديد» (6)

1- الاحتجاج.

2- كشف الغمة، ج2، ص118.

3- بحار الانوار، ج43،ص158.

4- عن أحمد بن الحسن القطّان عن عبدالرحمن محمد الحسيني عن أبي الطيّب محمد بن الحسين ابن حميد عن أبي عبداللّه محمّد بن زكريا عن محمّد بن الرحمن المهلّبي عن عبداللّه بن محمّد ابن سليمان عن أبيه عن عبداللّه بن الحسن.

5- عي بن محمّد المعروف بابن المغيرة القزويني عن جعفر بن محمّد ابن الحسن عن محمّد بن علي الهاشمي عن عيسي بن عبداللّه ابن محمّد ابن عمر بن علي بن أبي طالب عن جدّه علي بن أبي طالب عليه السلام .

6- أحمد بن عبدالعزيز الجوهري عن محمّد بن زكريا عن محمّد بن عبدالرحمن عن عبداللّه بن محمّد بن سليمان عن أبيه عن عبداللّه بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام .

علي أيّ حالٍ و كما ذكرنا سابقاً، فقـد وردت هـذه الخطبـة بأسـنادٍ متعددة مع ملاحظة اختلافٍ في نصوسـها، و قد اخترنا أقربها للصـحة و أكملهـا و هو المنقول في «الاحتجاج» عن «سويـد بن غفلـة» (نقل ذلك أيضاً العلاّمـة الكبير المجلسـي في المجلّـد 43 من بحارالانوار ص161) (1)

و عليه فإن الخطبة المذكورة هي من الخطب التي وردت من مصادر متعددة و بأسنادٍ معتبرة، لذا فهي تتمتع بأهميةٍ خاصة.

ولكي نتعرّف علي الحقائق التي تضمنتها هذه الخطبة، نتجه صوب متن الخطبة و تفسيرها.ع.

1- «سويـد بن غفلـة» أو «عفلـة» علي حد قول «العلاّمة الحلّي» في «الخلاصة» و هو من أولياء أمير المؤمنين علي عليه السـلام ، و اعتبره «العلاّمة المير داماد» (نقلاً عن المرحوم اللمامقاني) من أولياء و خواص أمير المؤمنين عليه السـلام ، كما قال «الذّبي» في «المختصر» عنه بأنه رجل ثقة، عابد، زاهد، و صاحب مقامٍ رفيع.

القسم الأول

لما إعتلت فاطمة عليها السلام علة الموت، اجتمع إليها نساء المهاجرين و الأنصار، يعدنها، فقلن لها:

كيف أصبحت من علّتك يا ابنة رسول اللّه؟!

فحمدت اللّه و صَلّت علي أبيها عليه السلام ثم قالت:

أصحبت واللّه عائفةً لدنيا كنَّ، قاليةً لرجالكنَّ. لَفظتهم بعد أن عجمتهم و شنأتهم بعد أن سيرتهم.

فقبحاً لفلول الحدِّ، و اللعب بعد الجد، وقرع الصفاة، و صدع القناة، و خطل الآراء، و زلل الأهواء، و «لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ» (1)

لا جرم لقد قلَّدتهم ربقتها و حملتهم أوقتها و شننت عليهم عارها.

فجدعاً و عقراً و بُعداً للقوم الظالمين.

نظرة عامة:

يعترض الإنسان في طول حياته أياماً و ساعات حسّاسةً تكون بمثابة امتحانٍ له، و بالطبع فإن الامتحان الإلهي يُربّي في المرء روحه و يزيد

1- سورة المائدة، آية80.

فيه المقاومة و الشهامة كما يتم من خلاله كشف قابلياته و تفتح استعدادته، و أيضاً معرفة المرء حقيقة باطنه.

علماً أن المرء قد يشتبه أحياناً في معرفة نفسه، لا كما هو الحال في الامتحان البشري الذي يُقام لكشف عددٍ من المجاهيل و التعرف علي بواطن الأفراد من خلال التجربة و التحليل.

و هذه المسألة قد وضحت في هذا القسم من خطبة سيدة الإسلام عليها السلام .

تظهر الزهراء عليها السلام نفرتها و انزعاجها الشديدين ممّن ينتهز الفرصة ليسترزق منها مؤنة يومه، أي من المهاجرين و الأنصار لأنهم سكتوا – ليس سكوتهم فحسب –بل علي موافقتهم للإنحرافات التي حدثت بعد وفاة النبي صلي الله عليه و آله ، فأنذرتهم بأن يحذروا هذا الإمتحان الإلهي العظيم.

تذكّرهم بجهادهم الرائع في عصر الرسول صلي الله عليه و آله ، و من ثم تشبههم بالسيوف المثلومة التي فقدت قدرتها في صدِّ الأعداء و دحرهم، و بالرماح التي تهشمت فأصبحت غير مفيدة لأي شيء.

توبّخ ابنة النبي الكريم صلي الله عليه و آله بشدة أولئك الذين سخروا من مباديء الإسلام و جعلوها عرضةً لأهواءهم، و من ثم وجهت لومها و تحقيرها إلي من وهن عزمهم، و فقدوا قدراتهم في اتخاذ قرارٍ ضد الإنحرافات التي حدثت.

في نهاية هذا القسم تقوم بإنذارهم بأن مسؤولية غصب الخلافة ستثقل كاهلهم إلي الأبد، و ستبقي جباههم موسومة بوصمة العار التي جاءت نتيجةً لسكوتهم، كما أن التأريخ الإسلامي سيسجّل هذه الحادثة المؤلمة بمنتهي الأسف.

نعم، فالكثير منهم لم يخرجوا من الإمتحان منتصرين و لم تكن

وجوههم مستبشرة، و كم كان حسناً لو تبيّنت «حقائق الأمور» للعيان حتي تسودَّ وجوه «الغشاشين»، و كم كان لطيفاً لو أقيمت مناقل النار ليفضح «مدلوك الذهب و سوار الفضة» باطنه و يتبين للناس حقيقته ليُميزوه عن الذهب الخالص.

ص: 155

القسم الثاني

اشارة

و يحهم أنّي زعزعوها عن رواسي الرسالة و قواعد النبوة و الدلالة، و مهبط الروح الأمين و الطبّين بأمور الدنيا و الدين

«أَلاَ ذلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ» (1)

و ما الذي نقموا من أبي الحسن عليه السلام ؟

نقموا منه و اللّه نكير سيفه، و قلة مبالاته بحتفه، و شدة و طأته، و نكال وقعته، و تنمُّره في ذات اللّه.

و تـاللّه لو مالوا عن المحجـة اللائحـة، و زالوا عن قبول الحجـة الواضـحة، لَردَّهم إليها، و حملهم عليها، و لساربهم سـيراً سـجحاً، لا يكلم خشاشه، و لا يكل سائره و لا يمل راكبه.

و لأوردهم منهلاً نميراً صافياً رويّاً تطفح ضفَّتاه و لايترنق جانباه و لأصدرهم بطاناً و نصح لهم سراً و إعلاناً.

و لم يكن يتحلي من الـدنيا بطائـلٍ، و لا يحظي منهـا بنائـلٍ، غير ري الناهل و شـبعة الكافل و لبان لهم الزاهـد من الراغب، و الصادق من الكاذب.

«وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَي آمَنُوا وَاتَّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّماءِ

1- سورة الزمر، آية15.

وَالْأَرْضِ وَلكِن كَذّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » (1)

« وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هؤُلاءِ سَيُصيبُهُمْ سَيِّئاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ» (2)

التفسير

المعايير و القيم الإلهية

تحكم المجتمع الإلهي السليم معايير و قيم إلهيّةً في جميع مجالات الحياة، سيما في أشغال المناصب، فلا سبيل للأجنحة و منتهزي الفرص، و الدسائس السياسية و العصبية القبلية و القومية، و كذا ما يعقده تجار السوق السياسي من اتفاقاتٍ خلف الكواليس في ارتقاء المناصب و التصدّي لمسؤوليتها.

تخاطب سيدة النساء عليها السلام في هذا القسم نساء المدينة مستفهمة:

لماذا؟ و بأيّ مسوّغ غيّر رجالكنَّ محور الخلافة عن المسير الذي طالما بيّنه الرسول صلي الله عليه و آله في أحاديثه الصريحة الواضحة؟ و ما هو نقص أبو الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام ؟ و هل يفتقد شيئاً من الكمالات اللازمة، روحيةً كانت أم جسدية؟

بلي، إن عيبه هو سيفه الغالب الذي خطف النوم من عيون أعدائه، قدرته اللامتناهية في ميادين القتال، إستخفافه بالموت في سوح الوغي، جعلت منه حصناً منيعاً عجز أعداء الإسلام في اختراقه.

فالعذر التافه الذي أُوخذ عليه هو أن توجهه للّه فقط، فرضاه من رضا اللّه، كما أن غضبه و سخطه لوجه اللّه فقط.

1- سورة الاعراف، آية96.

2- سورة الزمر،آية51.

الحقيقـة أن كلام سـيدة النساء عليها السـلام كان بمثابة تذكيرٌ لهم بأن قيم و مفاهيم المحيط الإسـلامي قد تغيرت و تبدلت بعد وفاة النبي الكريم صـلي الله عليه و آله ، و بسبب انحراف المزاج السليم لأرواح هذه المجموعة من المهاجرين و الأنصار، صار طعم القيم الإسلامية الحقيقة في أعماقهم مرّاً كالحنظل بعد أن كان لذيذاً كالعسل، كما اعتبرت الشروط التي تشكل أهم مواصفات القائد الرباني القاطع الصارم عيباً و نقصاً له.

بعدها تسـتمر في حديثها منبّهةً إياهم أن تنحية عليٍّ عليه السـلام عن الخلافة إنما هو كفران لنعمةٍ كبيرةٍ و موهبةٍ إلهيةٍ عظيمة، علماً أنه أعلمُ الناس بآيات القرآن و بحلال اللّه و حرامه.

فهو أعرف من غيره بالحق و الباطل و القادر علي الفصل بينهما، و لو آلت إليه زمام الأمور لم يكن ليسمح لورثه الشرك (آل أبي سفيان و هم أعـدي أعـداء الإسـلام و أشـد المخالفين للقرآن الكريم) أن يطمعوا في الحكومـة الإسـلامية بهذه السـرعة، و يحولوها إلي جهازٍ حكوميٍّ مستبد، و هو أسوأ و أظلم من حكومة كسري و قيصر و الفراعنة.

فإذا كانت أمورهم مودعـةً في يـد عليٍّ عليه السـلام المتقدرة، لأجلسـهم مركب الحق المنيع، و لهداهم بأمانٍ و هدوءٍ و مداراةٍ إلي نبع ماء الحياة، و من ثم لرواهم من ذلك النبع المتدفق ماءً عذباً زلالاً يمنح شاربيه حياةً أزليّة.

إن من شروط القائد الرباني هو حب الخير و العطف علي الأمة، فهل وجدوا أحداً أكثر عطفاً و شفقةً من عليٍّ عليه السلام ؟ الشخص الذي كرّس جهده في إشباع الجياع و إرواء العطاشي، يتألم لآلامهم و همومهم، كما أن غمهم يعصر قلبه.

الشرط الآخر في مسألة الخلافة و الإمامة هو الزهد و عدم الاغترار بالدنيا و جاهها و مالها، فإن تعلّق قلب قائد الأمة بالدنيا صار من السهل

النفوذ إليه من هذا الطريق، و من ثم تضليله و حرفه عن جادّة الحق.

فهل يوجد في كل الأمة الإسلامية أزهد و بالدنيا من عليٍّ عليه السلام ؟ الشخص الذي لم يكتنز ذهباً أبداً، و لم يُشيد لنفسه قصراً، ثيابه بسيطة كثياب غلامه.

و غذاؤه بمستوي غذاء أفقر الناس.

إذا كانت معايير الخلافة هي القدرة الروحية و البدنية، الإخلاص في النية و الزهد و العصمة و التقوي، و العطف علي الأمة، فمن هو أفضل من أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي يتحلي بهذه المواصفات؟

و إذا كان النبي صلي الله عليه و آله قد نصّب علياً عليه السلام خليفةً له مشيراً إلي هذا المعني مرّات و مرّات عبر عباراتٍ مختلفة الصّيغ، معتبراً إياه أليق من الجميع لهذا المقام فهذا لايقتصر عليه نابل، اللّه سبحانه و تعالي اعتبره أليق الناس بهذا المنصب.

تقوم سيدة النساء عليها السلام في نهاية هذا القسم بإنذارهم و تحذيرهم بأن لايظّنوا أن ثمن هذا الكسل و التقصير، و تقاعسهم في حماية الشخص الأنسب للخلافة سيكون رخيصاً، بل عليهم أن ينتظروا ما سيُخلّفه ذلك التقصير و ذلك التقاعيس و يتذوّقوا نتيجته المرّة، عليهم أن لايتصوّروا أنهم يستطيعون النجاة و الفرار من قبضة العذاب الإلهي في هذه الدنيا، كلا، أبداً.

بلي، سيحصدون في نهاية الأمر ما زرعوا، و سيبتلون بحكوماتٍ عنيدةٍ و جبّاره و فاسدةٍ و مفسدةٍ و ظالمةٍ تفتقد الرحمة كحكومات بني أمية و بني العباس، في ذلك اليوم الذي سوف لن يجدوا فيه سبيلاً للفرار و هم يشعرون بمواجهتهم لعذاب الآخرة.

القسم الثالث

اشارة

ألا هلمَّ فاستمع و ما عشت أراك الدهر عجباً، و إن تعجب فعجب قولهم:

ليت شعري؟ إلي أي سنادٍ استندوا؟ و علي أي عمادٍ اعتمدوا؟ و بأية عروةٍ تسمكوا؟ و علي أية ذريةٍ أقدموا و احتنكوا؟!

«لَبِئْسَ المَوْلي و لَبِئسَ العشير» (1).

«و بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً» (2).

استبدلوا و اللّه الـذُّنابي بالقوادم، و العجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يُحسنون صنعاً.«الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون» (3)

و يحهم!«أَفَمَن يَهْدِي إِلَي الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لاَ يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَي فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» (4)

التفسير

ترجيح «المرجوح» علي «الراجح»

لا يستطيع أيُّ امريءٍ أن يقبل ترجيح «المرجوح» علي «الراجح» ألا مَن يُنكر «الإستقلال العقلي». أو بتعبيرٍ أوضح فأنّ أي إنسانٍ لا يتردد

1- سورة الحج آية13.

2- سورة الكهف،آية 50.

3- سورة البقرة، آية 12.

4- سورة يونس،آية 35.

أبداً في تقديم «شيءٍ ذو مزايا عديدة» علي «شيءٍ فاقدٍ لجميعها».

فهل يا تري سمعتم أن شخصاً عند انتخابه لمعلم ما، يقوم بترجيح الطالب علي الاستاذ؟ أو عند معالجة مرضٍ ما أن يفضِّل طبيباً عادياً قليل الخبرة علي طبيبٍ كبير عظيم الخبرة و التجربة؟ (دون أن تُؤخذ خواص أخري بنظر الاعتبار) عند انتخاب قائدٍ معيّن، إذا تجاهلنا ذوي التجربة و التدبير و الإدارة، و اتجهنا صوب الجدد ذوي التجربة القليلة، عندها سيشكّ الجميع بصحة عقولنا و سلامتها.

حتي أولئك الذين لا يعتقدون بقبح هذه المسألة (ترجيع «المرجوح» علي «الراجح»)، لا يتجاهلون هذا المبدأ في أداء أعمالهم أبداً، بل يعملون دائماً علي ترجيح الأحسن. مثلاً عند شراءهم لفاكهةٍ معينة، فهل يتركون الجيد منها و يبتاعون الرديء و غير الناضج منها؟ او عند اختيار صديقٍ ما، فهل يفضّلون الأشخاص الأشرار ذوي الصيت السيّء علي النزيهين و الأخيار؟ كما أن من المستحيل أن يُفضل الإنسان الماء الآسن علي الماء الزّلال، و إن وُجد شخص، يفعل ذلك فلا ترديد في كونه ناقص العقل.

نعم، تعمي و تصمّ المنافع المادية أحياناً بصر و سمع الإنسان بشكل تُنسيه منافعه الحقيقية، عندها يؤدي الإنسان عملاً يدفعه إلي تقديم «المتأخّر» علي «المتقدم». و قد اعتمد القرآن الكريم علي هذا المعني في تأنيبه للكفار و المشركين الّذي لوّثوا أنفسهم بهذا العلم القبيح المرفوض، حيث نقرأ:

« أَفَمَن يَهْدِي إِلَي الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لاَ يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَي فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» (1).

تضيف السيدة الرشيدة و ابنة النبي الكريم صلي الله عليه و آله في هذا القسم(القسم5.

1- سورة يونس، آية 35.

الثالث) من خطبتها الغرّاء المؤلمة مشيرةً إلي هذا المعني:

يا معشـر المهاجرين و الأنصار! لِم خذلتم من كان له السّبق في الإسلام، و أوّل من بايع الرسول صلي الله عليه و آله من الرجال، و اتّبعتم من ليس له من هذا الافتخار أي نصيب، (بل و سجد للأصنام حتي بعد بزوغ شمس الإسلام)؟

لِم أبعدتم من هو«بابٌ» لمدينة علم النبي صلي الله عليه و آله و الأقدر علي التحكيم و القضاء استناداً إلي حديث الرسول صلي الله عليه و آله المشهور «أقضاكم عليٌّ»، و سرتم خلف مَن لا يملك شيئاً من ذلك العلم و تلك المعرفة؟

لقد تجاوزتم بعملكم هذا القانون الصـريح (بترجيح «الراجح» علي «المرجوح)، و تناسيتم حكم القرآن في هذا الأمر (مضمون الآية التي ذُكرت أعلاه) (1).

تعجب سـيدة الإسـلام عليها السـلام من هذا الأمر بشدّة، و تصف الدنيا ب« عالم العجائب» الذي يعلّم الإنسان في كل يومٍ ينقضـي من عمره درساً جديداً».

تتساءل بعدها عن الدليل الذي دفع هذه المجموعة التي يبدو عليها العقل و التدبير إلي تغيير محور الخلافة، و اختيار الآخرين ليحلُّوا محل علي بن أبي طالب عليه السـلام ؟ و لأيٍّ من الوثائق استندوا؟ و كيف تجاهلوا ميزات عليٍّ عليه السلام الواضحة، و قدّموا المرجوح عليه؟! و تستعين في نهاية هذا القسم بالآيات التي تتحدث عن مصير هؤلاء الناس:

ي لَبِئْسَ المَوْلي و لَبِئسَ العشيري (2).

ي و بِئْسَ لِلْظّالمينَ بدلاًي (3).0.

1- الأعجبُ من كل ذلك قول ابن أبي الحديد في خطبة كتابه، حيث يقول،«الحمدللّه الذي قدّم المفضول علي الفاضل»!!!.

2- سورة الحج، آية 13.

3- سورة الكهف، آية 50.

القسم الرابع

اشارة

أما لعمري لقد لقحت، فنظرةٌ ريثما تُنتج، ثم احتلبوا مِلاء القعب دماً عبيطاً و ذُعافاً مبيداً «هنا لك يخسر المُبطلون» و يعرف التّالون غِبَّ ما أسَّس الأولون، ثم طيبوا عن دنياكم أنفساً و اطمئنوا للفتنة جِأشاً.

و أبشروا بسيفٍ صارم، و سطوة معتدٍ غاشمٍ و هَرجٍ شامل، و استبدادٍ من الظالمين يدع فيئكم زهيداً، و جمعكم حصيداً فيا حسرةً لكم و أنّي بكم و قد عميت عليكم؟ أنُلزمكموها و أنتم لها كارهون.

التفسير

الاختيار الخاطيء و ثمرته المشؤومة

يعتقد الكثير من الناس أن تناسيهم للوقائع يجعلها تنساهم هي الأخري و لن تأخذهم بجلابيبهم.

هكذا يظنون، يمكن الحصول علي ثمر جيّد من خلال زرع بذرةٍ فاسدة.

نعم لن يمضِ وقتٌ طويل حتي تتهاوي ظنونهم كما يتهاوي البناء الذي هرَّء الدود أركانه، أو كما تزول الفقاعات من علي سطح الماء، أو كالطيف الذي يتلاشي باستيقاظ النائم، عندها يري الصورة البشعة

المشؤومة للواقع الذي نتج عن اختياره الخاطيء، و سيتذوّق مرارة الأحداث التي سيفرزها عمله الطائش.

نعم هذا هو قانون الوجود الذي سيحكم البشرية كما حكمها في جميع مراحلها التاريخية بكل قدرته، و هو أن يري المخطيء نتيجة و عاقبة عمله، و يبدّل طعم حياته الرائع في نفسه إلي حنظل، و أحلامه الجميلة إلي كابوسٍ موحش.

تركّز سيدة الإسلام عليها السلام في القسم الرابع من خطبتها علي هذا المعني، حيث تفصح عمّا سيواجهونه نتيجة عملهم المشؤوم:

سيحمل جمل الخلافة بعد انحراف مسيره سريعاً، و سيعانق الأرض منه مولودٌ عجيب الخلقة، عِوض من أن تشربوا حليبه السائغ الهنيء، ستُناوَلون كؤو ساً مليئةً بدم جديد، يملأ قداح قلوبكم! و سيُصَبُّ في فيكم السُّم المميت بدل اللبن الخالص.

و بالتدريج سيأتي دور ظلاّم التأريخ و أبناء و أحفاد« أبوسفيان» و «الحجّاج» و «الأشاعثة» و مَن هو أسوأ منهم، الذين سيُسلّطون سيوفهم علي رقابكم و رقاب أبنائكم، و سيحصدون ثمار حياتكم بمنجلهم المميت.

سوف لن يكتفوا بسرقة أموالكم و سبي نسائكم، و إنّما سيُقيمون فيكم قتلاً جماعياً متكرّراً، تتلوّن عي أثره الأرض بلون دمائكم، بما في ذلك أرض مسجد النبي الكريم صلي الله عليه و آله ، نعم فسيعملون فيكم و في أبنائكم القتل في داخل المسجد الشريف ثاني الحرمين الآمنين حتي يطفح صحن المسجد بالدم، بل و سيهتكون حرمة بيت اللّه الحرام بقصفه بالحجارة بواسطة المنجنيق، و سيتلقّفوكم بسيوفهم في داخله و خارجه!

لقـد حلّق بكـم الخيـال بعيـداً، فظننتم أنَّ أعـذاركم الواهيـة في تخليكـم عن نصـرة الحق و الـدفاع عن خليفـة الرسول صـلي الله عليه و آله سينجيكـم من الجزاء الإلي بسهولة، و ستفرّون عندها من عواقب أعمالكم السيئة، هيهات، فذلك تصوّرٌ باطل! هيهات، فذلك خيالٌ محال!

و اليوم...نعم في هذا اليوم و عند ما نتفحّص صـفحات التأريخ المنصرم ندرك أكثر من أي وقت حقيقة و واقعية حديث الزهراٌ عليها السلام ذو المحتوي القيّم، فما أتعس العواقب التي حلّت بالمسلمين نتيجة انحراف محور الخلافة عن مسارها الأصلي؟ و كيف أصبحت أرواحهم و أموالهم و أعراضهم، و الأكثر من ذلك قوانين و أحكام و مقدسات الإسلام لعبةً بيد ورثة أحزاب الجاهلية؟!

لم يرحم أعوان بني أميةً الكبير و لاالصغير.

لم يراعوا حَرمَ رسول اللّه و لا احترام بيت اللّه «سبحانه و تعالي»

لم يكنّوا احتراماً للمهاجرين و كذا للأنصار.

فيوصي واحدٌ من أبناء «آل سفيان» إلي من حوله:

تلقَّفوها يا بني أمية تلقّف الكرة فوَ الّذي يحلف به أبوسفيان ما من جنَّةٍ و لانارٍ.

فماذا أكثر من ذلك!

لذا يقول معاوية بن أبي سفيان أيضاً:

ما قاتلكم لتُصلّوا ولا لتصوموا...بل قاتلتكم لأتأمَّر عليكم.

و الأسوأ من ذلك تلك القصة التي ينقلها العالم المتعزلي المعروف «ابن أبي الحديد» في شرح نهج البلاغة حيث يقول.

«و قد طعن كثيرٌ من أصحابنا في دين معاوية، و لم يقتصروا علي

تفسيقه، و قالوا عنه إنّه كان ملحداً لا يعتقد النبوة، و نقلوا عنه في فلتات كلامه و سقطات ألفاظه ما يدل علي ذلك.

و روي الزبير بن بكّار في «الموفقيّات» و هو غير متهم علي معاوية، و لا منسوب إلي اعتقاد الشيعة، لما هو معلوم من حاله من مجانبة عليٍّ عليه السلام ، و الانحراف عنه: قال المطرّف بن المغيرة بن شعبة: دخلت مع أبي علي معاوية، و كان أبي يأتيه، فيتحدث معه، ثم ينصرف إليَّ فيذكر معاوية و عقله، و يعجب بما يري منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، و رأيته مغتمّاً فانتظرته ساعةً، و ظننت أنه لأمرٍ حدث فينا، فقلت: مالي أراك مغتمّاً منذ الليلة؟

فقال: يا بُني، جئت من عند أكفر الناس و أخبثهم، قلت: و ما ذاك؟ قال: قلت له و قد خلوت به: إن قد بلغت سنّاً يا أميرالمومنين، فلو أظهرت عدلاً، و بسطت خيراً فإنك قد كبرت؛ ولو نظرت إلي إخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم فواللّه ما عندهم اليوم شيءٌ تخافه، و إنَّ ذلك مما يبقي لك ذكره و ثوابه؛ فقال: هيهات هيهات! أيُّ ذكرٍ أرجو بقاءه!

مَلك أخو تَيمٍ فعدل، (إشارة للخليفة الثاني) و فعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتي هلك ذكره؛ إلا أن يقول قائل: أبوبكر: ثم ملك أخوعدي، فاجتهد و شهّر عشر سنين؛ فما عدا أن هلك ذكره؛ الا أن يقول قائل: عمر، و إنَّ ابن أبي كبشة (إشارة إلي الرسول الكريم صلي الله عليه و آله) ليُصاح به كل يوم خمس مرات:«أشهد أنَّ محمّداً رسول اللّه»، فأيُّ عملٍ يبقي؟ و أي ذكرٍ يدوم بعد هذا لا أباً لك! لا و اللّه إلا دفناً دفنا» (1)

و بعدها مباشرةً يقوم يزيد حفيد أبو سفيان برفع الستار و نشر نعرته المستهترة علناً حيث يقول:9.

1- شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، ج5،ص129.

لَعِبَت هاشمُ بالمُلْكِ فَلا خبرٌ جاءَ و لا و حيٌ نَزَلْ

و بهذا الشكل بان و تأكّد ذلك الكفر و الأجرام الذي نطق به أبوسفيان.

إن حالة السجون الأموية و التعذيب القاسي الذي سلّطه الأمويون علي سجنائهم لم يسوّد صفحات تأريخ الإسلام فحسب بل و حتي تأريخ البشرية، و هذا مصداق مقولة سيدة الإسلام عليه السلام .

نعم، فقد كانت حوادث المستقبل منعكسة بصورةٍ جيدة في صفحات قلبها المشرقة، و طبقاً لما أخبرت عنه في هذه الخطبة، فسرعان ما هجم المتسللون المتجاوزون علي الناس بصوارمهم الحادة مستبدّين في الحكم مستهزئين بدين و روح و مال و ناموس الناس.

لقد ألقي الهرج و المرج ظلّه المشؤوم الثقيل علي المجتمع الإسلامي، و ذاق المسلمون مرارة ذلك التقصير و الوهن في حماية الحق.

و هذا جزاء أولئك الذين يتركون الحق و يتّبعون الباطل.

ص: 167

القسم الخامس

اشارة

قال سُويد بن غفلة، فأعادت النساء قولها عليها السلام علي رجالهنَّ فجاء إليها قومٌ من وجوه المهاجرين و الأنصار معتذرين و قالوا:

يا سيدة النساء لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن نُبرم العهد، و نُحكم العقد، لما عدلنا عنه إلي غيره.

فقالت: إليكم عني فلا عذر بعد تعذيركم، و لا أمر بعد تقصيركم.

التفسير

الأجوبة المريرة و المؤلمة

الأقبح من كل شيءٍ جواب طائفة من المهاجرين و الأنصار بعد سماعهم لرسالتها، حيث كان جوابهم مؤلماً جارحاً له وقعُ الخنجر علي قلبها الطاهر.

كان للخطبة وقع مؤثر في نفوسهم، فأحسّوا بالخجل، و ربما فزعوا من الجزاء الإلهي في الدنيا و الآخرة، مما دعاهم ذلك إلي الإسراع في الإستجازة للتشرف بالحضور بين يدي بنت رسول اللّه صلي الله عليه و آله و عرض جوابهم الذي كان محتواه:

لِمَ لم يَمدّ أبو الحسن علي ابن أبي طالب عليه السلام يده لنُبايعه قبل أن يأخذ

الآخرون البيعة لأنفسهم، فنبارك مقدمه، و ندافع عن حكومته؟ نعمل علي إطاعته، و نستجيب لأوامره من صميم قلوبنا و أرواحنا.

و بوجوده لم نكن لنقدِّم أحداً عليه لأنه أليق من غيره بهذا الأمر، و أقرب الناس لرسول اللّه صلي الله عليه و آله و دينه و فكره.

ولكن يا للأسف فقد فات الأوان! فبعد أن صافحنا أياديهم الممدودة للمبايعة، و طوَّقنا رقابنا بعهد الطاعة، و بسبب تعزيز ذاك الارتباط في هذا الأمر فإنه قد أُغلقت جميع الطرق بوجوهنا و لا سبيل للعودة!

أمّا ليتهم لم يتذرّعوا بذلك العذر في محضر سيدة الإسلام صلي الله عليه و آله الذي هو أشد قسوةً من فِعلهم، جواب قبيحٌ، و عذرٌ مفتضح كاذب، كلامٌ آلم قلبها الطاهر بشدة، و زاد من هموم روحها الجسيمة همّا آخر.

ليتهم أقرّوا بذنبهم علي الأقل، و ليتهم و عدوها بالرّجوع في الفرصة المناسبة، و لم ينطق لسانهم بذلك العذر الواهي، بالإضافة إلي:

أوّلاً: أنهم سمعوا من شخص رسول اللّه صلي الله عليه و آله و لِعدّة مرات أن الوصاية و الخلافة لن تكون إلا لعليٍّ بن أبي طالب عليه السلام ، و هذا الأمر يغني عن البيعة له.

ثانياً: علي فرض ضرورة البيعة، ألم يأخذ الرسول صلي الله عليه و آله منهم البيعة لعليٍّ عليه السلام في غدير خم، تلك الحادثة التي لم تكن لتخفي علي أحد، فهي أحداثٌ عاشوها و شاهدوها عن قرب أو سمعوا بها علي الأقل.

ثالثاً: علي فرض أنّهم لم يحضروا بيعة الغدير و لم يسمعوا حديث الرسول صلي الله عليه و آله في ذلك اليوم، فهل خفي علي أحدٍ منهم أفضلية عليٍّ عليه السلام علي الآخرين؟!

لماذا لم يأتوه بعد وفاة النبي صلي الله عليه و آله و يمدّوا أيديهم مجددين له البيعة إن لزم الأمر؟

لم تكن الخلافة حقّاً شخصياً مختصّاً بأمير المومنين علي عليه السلام حتي يحتاج إلي أن يطالب بحقه، ولكن الخلافة حقٌّ عام متعلقٌ بالمجتمع الإسلامي، لا بل بالإسلام ككل، لهذا نصَّب الرسول صلي الله عليه و آله عليّاً في هذا المقام بأمرٍ من اللّه «سبحانه و تعالي».

يُعدُّ قبول علي عليه السلام للخلافة و تأييد المسلمين له من الوظائف الإلهية الحتمية، و لا معني للاستفسارات «لِمَ و لأنَّ» و «إذا و كيف» و «كذا و هكذا».

رابعاً: لو افترضنا أنه كان علي عليٍّ عليه السلام أن يأخذ البيعة لنفسه و يخلف الرسول صلي الله عليه و آله في الناس، فهل يا تري من اللائق أن يبقي جسد الرسول صلي الله عليه و آله الطاهر علي الأرض دون تكفينٍ و تدفين و الاهتمام بمسألة الخلافة و كرسيّها.

ما أحقر تلك المؤامرة، لِمَ أدبر جمعٌ منهم عن مراسم دفن الحبيب و أسرعوا في الحضور في مراسم تنصيب الخليفة؟ لماذا؟

خامساً: لو تغاضينا عن جميع ذلك، و لو أن شخصاً اختار لنفسه قائداً و من ثم عرف أنه أخطأ في اختياره، و أن طريق هذا سينتهي به إلي التهلكة، فهل عليه أن يستمر في طريقه ذاك و يسقط في تلك الهاوية لا لشيء سوي أنه بايع و وعد بالوفاء؟ أيُّ منطقٍ و قانونٍ، و أي عقلٍ يحكم بهذا؟

ملاحظة مهمة

تتبادر إلي الذهن مسألة مهمة بعد إختتام هذا الموضوع، هي أن الخطبة رغم أنها خصت بالذكر مسألة خلافة و ولاية علي عليه السلام ، إلا أنها كانت

درساً مفيداً لكل المسلمين عبر مراحل التأريخ، و هو ألا يستخفّوا في الأمور التي تخص الحكومة الإسلامية، و لا يناصروا مَن هم ليسوا أهلاً لها، و لا يتعاملوا مع هذه المسألة تعاملاً سطحياً، و لا يقدّموا المرجوح علي الراجح في اختيار المتصدّين لأشغال المناصب الحسّاسة، و إن هم لم يُراعوا تلك النقاط فعليهم أن يترقّبوا نتيجة أعمالهم المشؤومة، و ليعلموا أنهم سيعيشون العواقب الوخيمة للحكومات الفاسدة المستبدة الطاغوتيّة.

بعدها ستُذرف دموع الحسرة و الندامة نتيجة ذلك التقصير.

دموعٌ لا تُثمر إلا عن الحسرة و الندامة و الفضيحة.

ص: 171

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم 129، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹